
رينو جيرارد
حرب إسرائيل الضائعة
ضد حزب الله
دار الخيال



مقدمة الناشر

سوف تبقى حرب 12 تموز- يوليو 2006 علامة فارقة في الصراع العربي الإسرائيلي عامّة وموضع جدل كبير في سلسلة الحروب التي جرت على الجبهة الإسرائيلية اللبنانية بشكل خاص منذ قيام إسرائيل.

فالفشل الذي وقع فيه معدّو العملية العسكرية من الجانب الإسرائيلي كانت هي السمة الغالبة، بدت فيها أخطاءً فادحة مشفوعة بخطوات غير مدروسة، فاقمت في عمق الأزمة وأصبحت مجريات الحرب عرضة للإرتجال والتقلب، كانت نتيجته انفلات وتخطي لكثير من الضوابط والمسلمات السياسية، والأخلاقية في عالم الحروب.

فبعد أن حظيت اسرائيل بدعم دولي صريح وأكيد لعمليتها العسكرية رداً على عملية أسر الجنديين التي قام بها

حزب الله متخطياً الحدود «الخط الأزرق المرسم دولياً بين لبنان إسرائيل»، أنه يمكن لسلاحنا الجوي أن يحلّ المشكلة، وأن ما أسمته وقتها «بالتدمير الرادع» يمكن أن يقضي على قوة حزب الله ويمنعه بعد أيام قليلة من استهداف المستوطنات والمدن الإسرائيلية الشمالية بالصواريخ، وبالتالي التمكن من فرض شروطها على لبنان بقرار دولي يعمد بالدرجة الأولى إلى تجريد حزب الله من سلاحه، ويعيد الجنديين الأسيرين، وبنشر الجيش اللبناني مع قوات دولية رادعة على حدودها الشمالية في الأراضي اللبنانية.

ولما لم تتمكن من ذلك في الفترة المحددة بدأت سياسة الهروب إلى الأمام، وبخطوات غير محسوبة، فبعد التدمير الكبير الذي ألحقته بضاحية بيروت الجنوبية وقرى الجنوب اللبناني ومدنه، إضافة إلى قضائي بعلبك والهرمل، بدأت عمليات تدمير الجسور بشكل همجي وتقطيع أوصال لبنان وطرقاته الحيوية، ثم قامت بإجتياح برّي كانت نتيجته إخفاقاً وفشلاً قارب حدّ الهزيمة وما زالت تداعياته حتى الآن تثير الكثير من الاضطراب والاحباط في المجتمع الإسرائيلي كما في قياداته السياسية والعسكريّة، مما أوجب قيام لجنة تحقيق مؤلفة من قضاة وذلك على خلفيّة ما أسموه «إخفاقات حرب تموز ـ يوليو 2006» وذلك من أجل القيام بتحديد المسؤوليات عن سلسلة القرارات الخاطئة، السياسية منها والعسكرية، والتي أدت إلى نتيجة مخيبة للآمال بالنسبة للداخل الإسرائيلي.

هذا إضافة إلى أن بقاء حزب الله ممتلكاً لقدرته الصاروخية وبخاصة الإستراتيجية منها والتي تصل إلى 200 كلم الذي من الممكن أن يكون عاملاً مهدّداً لقدرة إسرائيل الرادعة ولأمنها وهو علامة فشل واضح لنتائج العملية العسكريّة وذلك على الرغم من تأمين حدودها بحوالي ثلاثين ألف جندي دولي ولبناني حفظت به ماء وجهها فأصبح رئيس الأركان الإسرائيلي قادراً على الحديث عن إنجاز ما يحفظ أمن الحدود الإسرائيلية ـ اللبنانية لفترة طويلة.

ومما لا شك فيه أن المقارنة بين جيش نظامي حديث كالجيش الإسرائيلي، ومنظمة مسلّحة كحزب الله تبدو غير عادلة من جميع النواحي، خاصةً أنها كانت حرباً مفاجئة قاهرة تخطت نتائجها حسابات المنخرطين فيها، وتداخلت فيها محاور إقليمية ودولية.

ويهمنا هنا في كتابنا هذا أن نوضح أننا نقلنا وجهة نظر الكاتب الصحافي «رينو جيرارد» الذي تمكن مصادفة من أن يكون قريباً من موقع الحدث على الحدود الشمالية الإسرائيلية مواكباً للعمليات الحربية ومعرضاً نفسه وفريقه لأخطارها لينقل «الحقيقة» من وجهة نظره ونظر السكان الإسرائيليين والمستوطنين اليهود الذين عايشوا هذه الحرب بحيث أننا حافظنا على تعابير ومصطلحات ربما لا نقرها أو نوافق عليها، ولكنها ضرورية لإيصال رأي الكاتب، لنقل حقيقة الرأي الآخر وآلية تفكيره تجاهنا كما هو بدون أي تدخل.

وإن كان عنوان كتابنا يوحي أو يبحث عن هوية المنتصر أو المهزوم، وإن كان مهماً جداً بالنسبة لنا كلبنانيين أو كعرب أن نسعد بنصر طال انتظاره ولو غير كامل أو جزئي، إلا أننا سردنا الأحداث كما وردت.

في النهاية بين السطور الكثير من الأجوبة التي تغطيها المانشيتات العريضة والعناوين الكبيرة. والكثير من الأسئلة قد لا تجد جواباً شافياً. ولا نستطيع أن نحكم بالعدل من هو المنتصر ومن هو المهزوم لكن نستطيع أن نجزم بأن الإنسان هو المهزوم دائماً في الحروب.

الناشر

الفصل الأول

حرب ضائعة لكنها رابحة

من 12 تموز - يوليو حتى 14 آب - أغسطس 2006 تاريخ عرف بشهر العمليات العسكريّة الجويّة والبريّة والبحريّة لدولة إسرائيل على الأراضي اللبنانيّة ضدّ حزب الله، والتي ستُدرس لفترة في مدارس الحروب الغربية مثالاً لحرب غير متوازية، ضائعة، مدعومة من ديموقراطيّات العالم الغربي، ضدّ الحركات الثوريّة، إنها الحرب الغير مدروسة التي أديرت بطريقة خاطئة: انها الحرب في غير أوانها. وأسبابها الحقيقيّة سياسيّة واستراتيجيّة أكثر منها تكتيكيّة.

ما معنى حرب ضائعة؟

في البلاد الديموقراطيّة، أغراض هذه الحرب المُعلنة للشعب غير كافية، فالهدفان المحدّدان من رئيس وزراء إسرائيل

لم يتحققا: الإفراج من دون شرط مسبق عن الأسيرين الإسرائيليين من قِبَل حزب الله، بعد العمليّة التي تمت في 12 تموز - يوليو 2006 والثانية تدمير القوّة العسكريّة للمقاومة الإسلاميّة الشيعيّة. فلا يمكن أن نتصور أنَّ أحداً يستطيع، أو أيّ قوّة تستطيع إجبار محاربي حزب الله على تسليم سلاحهم أ منعهم من التنسيق مع حركة حماس، (الجناح العسكري الذي خطف أيضاً في 25 حزيران - يونيو 2006 الجندي الإسرائيلي جلعاد شليط) لعرض مبادلة غير متساوية للأسرى الخمسة عشر اللبنانيين في السجون الإسرائيليّة، إذ أنَّ أسر الجنديين الإسرائيليين يشكّل قوة ضاغطة لدى حزب الله لا يستهان بها. (يوم تمّ التبادل الأخير للأسرى في عام 2004 أثناء حكم رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك أريل شارو وقبل أن يطلق سراح أربعماية وثلاثين أسيراً 430 فلسطينياً ولبنانياً مقابل رفات لثلاثة جنود اسرائيليين قُتلوا في اشتباك مع عناصر حزب الله في عام 2000 وأيضاً لتحاشي فضيحة المخدّرات الإسرائيليّة وبطلها المهرّب الحنان تناوم والذي وقع في الفخ نصبه له حزب الله اللبناني، فالدولة العبريّة مجبرة على إطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين لقطع الطريق على أي تفسير لعمليات حزب الله العسكريّة في 12 تموز - يوليو، والتي نفّذت باسم (الوعد الصادق) لدعم وصمود الفلسطينيين المحاصرين تحت نيران

القوات الإسرائيلية في غزّة منذ اختطاف الجندي جلعاد شاليط في 25 حزيران ـ يونيو وعليه لا يمكن لحزب الله أن يقبل أيّة مساومة.

الحرب الضائعة ليست تماماً الحرب الخاسرة. فإعلان السيد حسن نصرالله (الأمين العام لحزب الله) النصر الإستراتيجي التاريخي على إسرائيل غير واقعي. فهل من وجهة نظره أن ألف ومئة قتيل وجريح وتسعماية ألف مهجّر وخمسة عشر ألف وحدة سكنيّة مدمرة نهائياً أو جزئياً مع تهديم البنى التحتيّة والجسور وطرق المواصلات في الجنوب والشمال وقطع أوصال المناطق اللبنانية عن بعضها البعض تشكّل انتصاراً؟ إذن فكيف تكون الخسارة؟ بالمقابل لا يمكن تحميل مسؤوليّة هذا التدمير الشامل والهائل والذي وقع على عاتق الدولة الإسرائيليّة بالأمر المنطقي، فردّ الدولة الإسرائيليّة اليهوديّة على خطف الجنديين ردّ واسع جداً ومدمر أكثر.

ولكن إذا أردنا تجاهل الأهداف المُعلنة فقط من أجل تحليل ودراسة الحالة الإستراتيجيّة بعد الحرب، فقد اعتبر عدد من المحلّلين السياسيين والعسكريين أن إسرائيل فتحت الطريق عندما بعثرت بعنف البيئة العسكريّة (الستاتيكو) على حدودها الشمالية. إنّ الحالة الأمنيّة العامّة للدولة اليهوديّة اليوم كما يقولون أفضل مما كانت قبل الحرب لأن القرار 1701 لمجلس

الأمن الدولي بشكّل تقدّماً حقيقياً لصالح إسرائيل، فهي استطاعت أن تحمي حدودها الشماليّة بقوّات اليونيفيل الدوليّة (فرنسا، إيطاليا، إسبانيا وغيرها) والتي ستساند انتشار الجيش اللبناني لاعتقادها بأنها تنتظر نزع سلاح حزب الله ومراقبة تهريب الأسلحة المرسلة إلى الميليشيا اللبنانيّة.

إذا ما تمّ تطبيق القرار 1701، فإنّ حرب الثلاثة والثلاثين يوماً تعتبر انتصاراً لإسرائيل. لكن التجارب أثبتت ان قرارات الأمم المتحدة لا توضع موضع التنفيذ إلاّ نادراً جداً، وابتداءً من لبنان مثلا: قراري (1559 و 425) فقوّات اليونيفيل (قوّات حفظ السلام الدوليّة للأمم المتحدة) مدعومة بعدد كبير من الرجال، لكن صلاحياتها الهجومية وسلطتها لم تتبدّل. فهل ستتصدّى القبّعات الزرق (القوّات الدوليّة) لعناصر حزب الله وهم يحملون البنادق الحربيّة الكلاشنكوف؟ وهل سيتجرّأو على تجريدهم من السلاح؟ الجواب الطبيعي هو لا. فالأوروبيون والأتراك اشترطوا قبل إرسالهم كمساندة بشريّة لقوّات حفظ السلام الدوليّة عدم تكليفهم بنزع سلاح حزب الله.

الأكيد ان إسرائيل تنتظر توقّف إرسال الأسلحة إلى حزب الله من سوريا وإيران، ولم ترفض الدولة اليهوديّة مراقبة الحدود اللبنانيّة يوم أقام الجانبان اتفاقاً (الجيش اللبناني والقوّات

الأوروبيّة)، يقضي بالإنتشار على طون الحدود اللبنانيّة السوريّة، بعد أن قَبِلَ الرئيس السوري الذي كان يرفض انتشار قوّات مماثلة على الحدود اللبنانيّة السوريّة متذرعاً بأن هذا الأمر سيوتّر الأجواء بين البلدين، وسوف ينذر بحرب بينهما، لكن بتاريخ 19 أيلول - سبتمبر 2006 عاد واقتنع بالإتفاق الذي عرضه عليه رئيس المجلس النيابي الإيطالي روماندو برودي، والذي يقضي بحصر مهمّة المراقبة بعناصر مدنيّة أوروبيّة غير مسلّحة، للشاحنات العابرة للحدود السورية اللبنانية بالتزامن مع تكليف قوّات البحريّة الألمانية بمراقبة المياه الإقليميّة اللبنانيّة، لقطع الطريق على تهريب الأسلحة من البحر إلى حزب الله.

بالنسبة لإسرائيل كان درساً من الناحية السلبيّة. الدولة العبرية تحدّت كلّ دول العالم باستثناء أميركا عندما ابتدعت هذه الحرب. فوضعت حزب الله في سلّم الحياة السياسيّة اللبنانيّة، وأصبحت إيران محوراً أساسياً في المنطقة.

فقدت إسرائيل بهذه الحرب صورة الجيش الذي لا يقهر في عمق الشرق، وتلك الصورة التي اهتزّت عند الكثيرين كانت أحد الجوانب السلبية لهذه الحرب. أما من الناحية الإيجابيّة فوضعت إسرائيل إصبعها على فكرة مطامع إيران العسكريّة في الشرق الأوسط أجبرت مجلس الأمن الدولي على التحرّك لإعادة السيادة إلى لبنان والتي اغتصبها حزب الله. لقد أظهرت ان

اليهود لن ينصاعوا بسياسات الإرهاب التي تستهدف شعبهم المدني، وبطريقة غير مباشرة، علّقت الحوار مع الحكومة الفلسطينية الجديدة المنتخبة من الشعب الفلسطيني لأنها نقضت الإتفاقات المبرمة والتي تنص على الإعتراف بدولة إسرائيل مع الحكومة الفلسطينية السابقة، والتي كانت مشكلة من حركة فتح الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني، بالإجمال هذه الحرب الضائعة يمكن أن تصور لاحقاً من مؤرّخي التاريخ بأنها حرب ساعدت في حماية الدولة الاسرائيليّة. كلمة ضائعة قاسية في قاموس الحرب، واليوم وقد توجهت إنتقادات كبيرة وكثيرة من معظم المحلّلين السياسيين الكبار، ومن 63% من الشعب الإسرائيلي - حسب استطلاعات الرأي التي أجريت - في بدا - أيلول - سبتمبر 2006، هذا لأن تاريخ الدولة اليهوديّة العسكري زاخر بالإنتصارات العسكريّة باستثناء حرب لبنان (حزيران - يونيو 1982 و 1985).

حرب الاستقلال (15 أيار - مايو 1948 - 13 كانون الثاني - يناير 1949) أنشأت إسرائيل دولة على ثلاثة أرباع أراضي الدولة الفلسطينيّة المحتلّة (منطقة نفوذ للسلطة العثمانية والتي وضعت تحت الإنتداب للدولة البريطانيّة عام 1917)، فبإنتصار الجيش الحديث لإسرائيل على أنظمة الدولة العربيّة (مصر، سوريا، الأردن، العراق) دفعت

مشروع تقاسم الأراضي الفلسطينيّة بجمع شتات اليهود في بقعة كبيرة تبدأ من تلّ أبيب إلى تانيا مع رفض لتواجد الشعب العربي فيها.

شكلت حرب إسرائيل ضدّ الدولة المصريّة (29 تشرين الأول - أكتوبر حتى 7 تشرين الثاني - نوفمبر 1956) الانتصار العسكري الباهر للجيش الإسرائيلي في سيناء الذي عمل على تقطيع أوصال الجيش المصري ودمّر أسس كتيبة فدائيي قطاع غزّة. فاستطاع الإسرائيليّون أن يستفيدوا من ناحيتين في الوقت نفسه على الجبهتين.
أولاً: المواجهة مع جمال عبد الناصر في بداية عام 1967 أدت إلى اتفاق على إقامة منطقة عازلة مراقبة من القوّات الدوليّة على الجهة الجنوبيّة للحدود، وثانياً: حريّة الإبحار في البحر الأحمر حيث يمتدّ مرفأ إيلات الإسرائيلي.

فالعمليّة العسكريّة الغربيّة البريطانيّة مجتمعة (بالإتفاق مع إسرائيل) والتي شنت على قناة السويس أُتبعت باتفاق ذلّ فوري فرض من السلطات القديمة للأنظمة من الولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي.بما لم ترض به إسرائيل. إذ لم يكفِ فقط أن شأن ومعالم الدولة المغتصبة لم تطلها أيّ نكسة بل بالعكس حصلت على مساندة عسكريّة مهمّة ومعتبرة من فرنساء التي قدمت لإسرائيل أسرار القنبلة الذرية، وكذلك

طائراتها العسكرية المقاتلة وقطعاتها البحرية. كل هذه الأسرار تكشفت في ذروة الأزمة.

حرب الستة أيام (5 - 10 حزيران - يونيو 1967) فرضت انتصاراً كاملاً لإسرائيل ضدّ كلّ جيرانها العرب (فقط لبنان ظلّ محايداً). احتل الجيش الإسرائيلي القدس الشرقيّة والضفّة الغربيّة، فرضت إسرائيل كل سيطرتها على فلسطين المحتلّة ومن جهة أخرى انتزعت من مصر قطاع غزّة وشبه جزيرة سيناء، ومن جهة سوريا احتلت الجولان. لم يعد للدولة اليهوديّة أي مشكلة في البعد الاستراتيجي تجاه أعدائها العرب؛ فمساحة الأراضي التي تحتلّها ارتفعت أربعة أضعاف من مساحة (20700 إلى 88500)كلم[2]

حرب الغفران (6 - 25 تشرين الأول - أكتوبر 1973)

إلى كارثة على إسرائيل في أيامها الأولى إ' أنها انتهت بانتصار عسكري لا يستهان به على مصر. (الفرقة العسكريّة الثالثة المصريّة حوصرت في سيناء) وضدّ سوريا (حيث ان العاصمة أصبحت تحت مرمى نيران القوّات الإسرائيليّة).

الثمن الإنساني المرتفع والذي دفعته إسرائيل (3000 جندي قتيل و800 آخرين خلال حرب الستّة أيام و230 في قطاع سيناء عام 1956) جعل من كلّ هذا يعدُّ انتصاراً عسكريّاً بعين الإسرائيليين في الوقت نفسه. ولكن بعد خمس سنوات حصلت

الدولة العبريّة على انتصار آخر باهر، وهو سياسي، أي السلام مع مصر العدوّ العربي الأوّل البعيد والدولة الأخطر بالنسبة إلى إسرائيل.

في هذه الحرب التي جرت صيف 2006 أخذت الحكومة الإسرائيلية فيها صفة الكمال سياسياً، كما حصلت أيضاً على دعم الرأي العام العالمي. فعمليّة 12 تموز - يوليو تعدّت كونها مجرّد حادث عند الحدود، فعمليّة حزب الله محضّرة بدقّة واختراق عناصر حزب الله الحدود اللبنانيّة الإسرائيليّة شكّل فعل حرب، وخاصّة مع اختطاف جنديين إسرائيليين من أراضيها ومع قتل ثمانية آخرين، وبدل أن تحلّل الحكومة الإسرائيليّة بهدوء ورويّة ما حصل، ضاعف النظام السياسي العسكري الإسرائيلي التحركات الانتقاميّة. أوّل من صرح هو رئيس هيئة الأركان الإسرائيلي «دان حالوتس» قائد العمليّات والذي هدّد بعد ساعتين من الحادث ان يعيد لبنان «عشرين سنة إلى الوراء».

قلق الدبلوماسيون المعتمدون في تل أبيب من هذه العبارات القاسية، لأنها أطلقت من بلد ديموقراطي وبواسطة رجل عسكري يدلي بتصريحاته قبل المسؤولين السياسيين، كما لو أنه أراد إجبارهم أن يشدّوا على يده أو أن يؤازروه. فأبلغ رئيس الأركان أن عليه أن يدعو إلى اجتماع سرّي للقيادة للانكباب على دراستين مهمّتين: الأولى تحضير

القوّات المسلّحة، وتعريفهم على ذلك العدوّ الجديد، وعرض عدّة خيارات استراتيجيّة الواجب عرضها عى الحكومة، ولم يتردد رئيس ا رزراء بعدها إيهود أولمرت من الإنصياع ووضع الأمر موضع التنفيذ.

ما هو الهدف المنشود من إعلان إ ـن إنها لن تتبادل الأسرى بعد الآن مع حزب الله؟ وأيضاً ستقاتل السيّد حسن نصرالله لكي تبعده عن الساحة وستمكن بنجاح من تفكيك وتدمير الميليشيا الإسلاميّة الشيعيّة؟

عندما ندخل الحرب علينا أن نتصرّف بأفضل ما يكون وبتكتّم شديد، فكثرة الكلام تكبّل الأيدي (على الصعد الداخليّة والديبلوماسيّة) إ أيضاً إعلان بدون فائدة للإستراتيجيّة المعتمدة من قِبل العدو. فالعدوّ الصامت مخيف أكثر من ذاك الذي يعلن نواياه، وسريّة القرارات العسكريّة دوماً هي ركيزة القوّة الرادعة.

كلام كثير وقلّة تبصر، اندفاع وتهور بعد أقل من أربع وعشرين ساعة للحادثة. أطلقت إسرائيل العنان لسلاحها الجوّي وبدأت قصفاً عنيفاً على الأراضي اللبنانيّة... ما هي حاجة الجيش الإسرائيلي لهذا الإندفاع؟ لما لم ينتظر خمسة عشر يوماً للتحرّك؟ تكتيكياً، عنصر المفاجأة لا يؤثر على مقاتلي حزب الله، المتحضرين والحاضرين منذ ست سنوات.

استراتيجياً، كان يمكن لإسرائيل أن تبيع قضيّتها (قضيّة الجنود الأسرى) للرأي العام على الحدود مع لبنان وتبح تطبيق قرار الأمم المتحدة 1559 الذي قضى بتجريد حزب الله من سلاحه. خطوة كهذه كان من الممكن أن تكسب موقفهم فهماً وتعاطفاً أكبر معهم في العالم كله.

لم يكن صعباً على الحكومة الإسرائيليّة أن تشرح للرأي العام العالمي أجمع طبيعة الأعمال العدوانيّة ضدّ أراضيها والتي لا يمكن تحمّلها وتأتي من داخل الحدود اللبنانيّة المجاورة. لكن بدل ذلك قامت فوراً بقصف جوّي لمطار بيروت الدولي الحديث ودمرت جميع مدارجه لتوقف حركة الملاحة فيه وتعزل لبنان عن العالم، وغاصت منذ اليوم الأوّل باستراتيجيّة المعاقبة الشاملة. هذا الخيار بالحرب الجويّة بدا مفجعاً لأن القصف الجوّي لم يكن فقط غير فعّال ضدّ حزب الله البارع في لعبة التخفّي، لكن أيضاً دفعت نتائج الحرب المدمرّة بالرأي العام الأوروبي إلى الاضطراب والذهول وذلك بالصور المتواترة للضحايا والمجازر المرتكبة والدمار بحقّ اللبنانيين المدنيين. وبعكس الفكرة العامة المنتشرة، فلا يمكنها الإكتفاء بالدفاع حين يتاح مهاجمتها عسكرياً، فالدولة اليهوديّة بحاجة ماسّة إلى علاقات جيّدة مع أوروبا شريكها الأوّل.

يمكن أن يلقنها، علماء التاريخ العسكريون الأميركيون

لهيئة الأركان الإسرائيلية، فمن الوهم أن نصدّق أننا يمكن أن نشن ونكبّد بلد بدون بصيرة، وأن ندمره بشكل يؤدّي إلى إخضاع شعبه. هذا الأسلوب لم ينجح في فيتنام ضد الفيتناميين، فكيف سينطبق على لبنان؟

الفكرة الأساسيّة من القصف الجوّي هي من أجل فك الارتباط بين الشعب اللبناني وحزب الله، لكن النتيجة كانت معاكسة. فاللبنانيون بمجملهم اتحدوا مع حزب الله والأسوأ ا حزب الله انخرط في الحياة السياسيّة مبدّلاً موقفه الوطني. منذ فترة قصيرة قامت الصحيفة اللبنانيّة الصادرة بالفرنسية «لوريون لوجور» في 3 أيلول - سبتمبر 2006 باستطلاع أظهر أن 49% من اللبنانيين هم ضدّ تجريد حزب الله من سلاحه بعد الآن.

جاء دور التكتيك الآخر أي الغارات والهجومات البحريّة الإسرائيلية في قرى جنوب لبنان وهذا ما كان ينتظره المئات من مقاتلي حزب الله المحترفين دائماً بنصب الكمائن، والمدعومين من ريا بالأسلحة الحديثة المضادّة للدروع، فقتل جندي من الجنود الإسرائيليين (الحصيلة النهائية 116 قتيلاً) يعتبر نصراً استراتيجياً لنصر الله المتوج كسلطان جديد للعالم الإسلامي من قبل الشعوب العربيّة المحبطة سياسياً، غير أنّه أخيراً خلال الثماني والأربعين ساعة الأخيرة سوف يضطر زعيم حزب الله للموافقة على وقف إطلاق النار المفروض من الأمم المتحدة.

تقدّمت القوّات الإسرائيليّة باتجاه نهر الليطاني على أمل تحقيق انتصار ينقذ سمعتيا ال اخليّة والخارجيّة: في الداخل للتبرير للمكلّفين « أي دافعي الضرائب» الإسرائيليين (لأن 60% من ميزانيّة الدولة اليهوديّة تذهب للقوّات المسلّحة)، وفي الخارج لإصلاح صورة السلطة الرادعة لإسرائيل في وسط العالم العربي الإسلامي. لذلك فإن قيمة العملية البرية كانت باهظة الثمن أكثر منها مفيدة و لم تحقق الأهداف المرجوة، فإدارة الحرب بأوامر مباشرة وفوريّة سهّلت التحليل الواضح لنقاط القوّة للعدو. استراتيجياً، إسرائيل متردّدة وحائرة طوال فترة النزاع لأنها مهووسة بفكرة إعادة الإحتلال لقسم من الأ راضي اللبنانيّة.

وقعت المشكلة؛ فالخسائر الفادحة بالعناصر البشريّة للجيش الإسرائيلي، وكيفيّة تبرير مقتل العشرات والمئات من الجنود والضباط إضافة إلى عدد كبير من الجرحى من أجل تحرير جنديين. كل ذلك أصبح موضع جدل كبير. لقد أديرت الحرب كتحضير لكوب من الكوكتيل المعقّد بشكل طارئ، رغم عدم التأكّد من وصفة التحضير. استخدمت إسرائيل في البداية القصف الجوّي وبما أنّ ذلك لم يؤدّ إلى نتائج، انتقلت إلى العمليّات ال المحدودة بالوقت وفي المساحة، وأخيراً قبل سريان مفعول وقف إطلاق النار رفعت وتيرة العدوان الشامل

بحراً وجواً وبرّاً. في النهاية الكوكتيل لا يحمل أي طعم محدّد كانت خطة الجيش الإسرائيلي عمليّة سريّة للتوسع وتقضي بالدخول وبسرعة كبيرة نحو الليطاني، ومن ثمّ تمشيط المنطقة بحذر نحو الحدود اللبنانيّة ا[illegible] اليلّة وتصفية كلّ مواقع حزب الله.

في العمليّات البريّة يؤدي الطيران دوراً مسانداً بتطبيق مبدأ المعاقبة الشاملة، هذا الخيار الصعب والصائب لم تعتمده الحكومة الإسرائيليّة لأنها توهّمت أنه بالإمكان التقدّم على الصعيد العسكري والدبلوماسي معاً، الحقيقة أنّ الحرب التي شنت بسرعة وبدون تدخّل ديبلوماسي تقضي ان المفاوضات التي تلتها لا يمكن أن تبدأ قبل أن يحصل تقدّم للقوّات العسكريّة على الأرض. لذلك ما إن وضع وقف إطلاق النار موضع التنفيذ، حتى تكتّل الجنود والمجنّدين والإحتياط ضدّ الحكومة ووزارة الدفاع متهمين إياهم بأنهم أرسلوهم إلى الحرب بدون تحضير وجروهم إلى مغامرة مكلفة وغالية مجردة من النصر النهائي.

فعلى لواء تساحال أن يجري مراجعة كاملة لعقيدته العسكريّة وكيفيّة تطبيقها، لأن نجاح الدولة الإسرائيليّة هو في كونها ديموقراطيّة: الجدال مسموح في كلّ الميادين باستثناء الأمور العسكريّة، فلواء «تساحال» هو جيش من

الاحتياط شبيه لجيش أثينا أيام الإمبراطوريّة الرومانيّة.

لقد قرأنا كثيراً ان إسرائيل خسرت في هذه الحرب صورتها القهريّة وسلطتها ا دعيّة كما لو ان هذه السمعة تكفي في الشرق الأوسط لثني مقاتلي حزب الله «الحركة الشيعيّة الإسلاميّة المتشدّدة دينياً» عن التحرّك. الحقيقة أن الجيش الإسرائيلي فَقَدَ القدرة التي كان يملكها قبل عشرين عاماً لاستعماله الأعمال البوليسيّة ضد الفلسطينيين في الأراضي المحتلّة. فجنود النخبة في إسرائيل (غولاني، جفعاتي، المظليين) وغيرهم لا بدّ أن يخضعوا لإعادة تأهيل وتدريب لحرب العصابات بالأسلحة المناسبة. فالتحرّكات العسكريّة الثقيلة، المبهمة، الصاخبة، يجب أن تدفع جانباً لمصلحة مجموعات صغيرة متحرّكة كالكومندس المؤلّفة من عشرات الأشخاص.

الخطأ الثاني لإسرائيل انها منذ نشأتها، هي البقعة المميزة والشاخصة إليها أنظار ديلوماسي العالم أجمع، فردّة فعلها العسكريّة الموسّعة والفوضويّة والتي حصلت من جرّاء عدوان حزب الله دفع بمجلس الأمن إلى القيام بجهد غير مسبوق، من أجل القيام بمحاولات صلح أميركيّة وفرنسيّة، وقلق دولي من نوايا الهيمنة الايرانيّة. فهل أن إسرائيل التي أضاعت الإنتصار بالحرب تحاول الآن أن تربح ما أضاعته بالسلام؟

الجبهة الشماليّة لا يمكن أن تتعرض بعد انتهاء الحرب للعدوان، أما بالنسبة للجبهة الداخليّة، أي الأراضي المحتلّة فقد بدأت تسلك الطريق الصحيح. قبلت حماس الآن أن تشكّل حكومة مع السلطة التنفيذيّة الممثّلة بحركة فتح كما اشترطت الحكومة الإسرائيليّة وتجنّدت أوروبا لإعادة تعمير قطاع غزّة متخلّية عن سياستها اللاواقعيّة وغير الديموقراطيّة بعدم الحوار مع الحركة الإسلاميّة حماس الفلسطينيّة. لقد سمحت حرب الثلاثة والثلاثين يوماً في النهاية بحماية حدود إسرائيل الشماليّة، بعد سلامها مع مصر والأردن الذي أمّن لها جبهاتها الخارجيّة القديمة، كما أنّ وضع سوريا من جهة أخرى لا يسمح لها بتهديد كيان الدولة اليهوديّة عسكرياً. ولكن هل تستطيع إسرائيل أن تستغلّ الفرصة لحماية حدودها الداخليّة من جرّاء الإنفجار الديموغرافي الفلسطيني؟.

فأريال شارون الذي حارب على كلّ الخطوط والجبهات الخارجيّة لإسرائيل منذ حرب الإستقلال هو نفسه أدرك أخيراً ا ٠ الجبهة الداخليّة على المدى البعيد أخطر بكثير من أي جبهة خارجيّة علماً يستطيع شيئاً ضدّ هذه القنبلة الديموغرافيّة وذلك على أثر تحدّي وانفلاش المنظّمات الفلسطينية والكتل المتحالفة معها مما سوف يجبر اسرائيل ان تتحاور مع هذه السلطات المنتخبة من الشعب الفلسطيني. إذاً

الحرب اللبنانيّة عام تشكّل أفضل صورة للنزاع العربي الإسرائيلي.

وصلت إسرائيل في الرابع من تموز - يوليو 2006 لكتابة مقال تاريخي طويل عن الأثر الذي تركته «غولدا مائير» في بلادها وهي المناضلة الصهيونيّة. وذلك منذ توليها رئاسة الحكومة في بلادها من عام 1969 حتى 1973 وحتى الآن لم يسامح الاسرائيليون رئيستهم الحديديّة رغم أنها كانت الرائدة في بناء الدولة الإسرائيلية الحديثة، وذلك بعد أن رفضت بدا: أن تهاجم القوّات المصريّة والسوريّة في حرب الغفران. في تشرين 1973 حارمة دولة إسرائيل من إمكانية المبادرة، مما اضطرها إلى تلقي مفاعيل حرب مفاجئة أدت إلى هزائم وتراجعات عسكرية في صحراء سيناء، كما في هضبة الجولان.

بتاريخ 10 تموز - يوليو اشتركت في برنامج حدّد من فريق صغير من الصحفيين الأوروبيين من أجل مقابلة وزيرة الخارجية الإسرائيلية «تسيبي ليفني» وقد أوضحت وزيرة الخارجيّة الموقف الإسرائيلي وبرّرته،فابتداءً من أزمة غزّة منذ خمسة عشر يوماً بعد قيام مجموعة عسكريّة من حركة حماس الفلسطينيّة الاسلاميّة بخطف جندي من لواء تساحال بادرت إسرائيل بقصف عنيف لقطاع غزّة، مهدّمة شركة الكهرباء المركزيّة، فجاءت ردّات الفعل الدوليّة متفاوتة من المجموعة الدوليّة.

في 12 تموز - يوليو وبينما كنا نتهيّأ للصعود لز
راضي الإسرائيليّة على متن طوّا أعلمنا القبطان بقلق إن فرقة كوماندوس من حزب الله نجحت في اختطاف جنديين من لواء تساحال بعد التسلّل إلى داخل الأراضي الإسرائيليّة من الحدود اللبنانيّة، أحسسنا حينها ان إ ائيل لن تدع هذه العمليّة تمر ون ردّة فعل وعقاب وان شيئاً خطيراً يحضر فطلبت مني الصحيفة التي أعمل في عدادها «لو فيغارو» أن أبقى في إسرائيل لتغطية تفاصيل الحرب في الدولة الاسرائيليّة. خلال هذا التحقيق الصحافي الطويل الذي دام عشرة أسابيع تفاجأت وصعقت بانفتاح وطاقة ووضعيّة الشعب الإسرائيلي، في المقابل وبالوقت ذا إفلاس على المستوى السياسي والعسكري. فالنظام أسير لايديولوجيّة حربيّة مبسطة ولأوامر صادرة من الإتصالات اللاسلكيّة الفوريّة، الغير قادرة على رسم استراتيجيّة مناسبة بوسائل صائبة لخطّة عسكريّة منظّمة وفعّالة تجاه العدوان على اسرائيل.

الصفحات التالية هي النص لهذا التحقيق الصحافي الطويل السياسي والعسكري للسياسة الاسرائيليّة.

الفصل الثاني

إرتجال الحكم

اعتبر سكان تل أبيب ان هجوم حزب الله يوم الاربعاء في 12 تموز - يوليو داخل الأراضي الإسرائيليّة واختطاف جنديين نكسة تكتيكية جديدة للواء تساحال وتأتي مباشرة بعد اختطاف ناجح لجندي آخر يدعى «شاليط» من اللواء في 25 حزيران - يونيو 2006 على يد مجموعة عسكريّة منضوية تحت جناح حركة حماس العسكري منطلقة من غزّة. لكن لم يكن وقع العمليّة مفاجئاً استراتيجياً بالنسبة للحكومة في القدس. «لقد أشرنا منذ زمن طويل لهذا المحور الجديد «الارهابي» في الشرق الأوسط والمؤلّف من حماس، حزب الله، سوريا وايران، فهو ليس فقط يحمل العداء لاسرائيل ولكن أيضاً للغرب بالاجمال ومرتكز على طموح مشترك:

«شطب إسرائيل من الخارطة، وإفشال جهود الأوروبيين

والغرب عامة، ومنع إمكانية الوصول إلى حلّ يقضي بإنشاء دولتين تعايشان بسلام، اسرائيليّة وفلسطينيّة في منطقة البحر الأبيض المتوسّط وبجوار الأردن».

هذا ما شرحه لي في 13 تموز - يوليو صباحاً نائب رئيس الوزراء الإسرائيلي شيمون بيريز الذي استقبلني في تل أبيب مع مجموعة من الصحفيين الأوروبيين في الطابق الأخير لناطحة سحاب والتي وضعتها الحكومة الإسرائيليّة تحت تصرّف الوزراء. (أصبح حزب الله المحرّك والمحور الأساسي في المنطقة وتدخّل لمنع أيّ حلّ محتمل للأزمة المستجدّة من قبل حماس). خطؤه كما هو خطأ حماس هو المراهنة على إبراز ضعف الحكم في السلطات الاسرائيليّة. والآن هدفنا التخلّص نهائياً من تهديد حزب الله لحدودنا الشماليّة والذي ازداد وتنامت قوّته العسكريّة منذ أيار - مايو 2000 (تاريخ الانسحاب الإسرائيلي الأحادي من جنوب لبنان) لا يمكن أن نقبل بعد الآن الجدليّة للسلطات اللبنانيّة في بيروت والتي تقرّ «لا نسيطر على حزب الله ولكن نطلب منكم عدم التعرّض لهم» تابع المهندس القديم لاتفاقات اوسلو).

سألته: هل ستعيد إسرائيل التجربة وتجتاح الأراضي اللبنانيّة في جنوب لبنان؟ فأجاب: كلا ليس لدينا أيّة نيّة لفتح جبهة جديدة على الأرض. ليس هناك نزاع بين لبنان واسرائيل

كدولة ولكن الأمر هو بيننا وبين حزب الله. أجابتني بعد ظهر يوم 13 تموز - يوليو السيّدة تسيبي ليفني وزيرة الخارجيّة الإسرائيلية: «ستقصف طائراتنا فقط أهداف حزب الله وأيضاً المدن التي ينتشر فيها مقاتلوه حيث من هناك يستهدفون قرانا ومدننا بصواريخهم. لقد انسحب مقاتلو حزب الله من المواقع الأماميّة التي كانوا يشغلونها بعد قصفنا لها، ونتمنى ان تستغلّ الحكومة اللبنانيّة الفرصة لإرسال جيشها النظامي. انها الفرصة الوحيدة لتطبيق القرار 1559 الصادر عن مجلس الأمن الدولي.

بالنسبة للوزيرة (انها الوريثة السياسيّة لاريال شارون التي اختارها قبل إصابته بالجلطة الدماغيّة في شهر كانون الثاني - يناير 2006)، فإن لحزب الله أهداف لا علاقة لها بالمصالح اللبنانيّة. . الذراع العسكري لايران على الحدود مع إسرائيل. فالرئيس الايراني أحمدي نجاد يريد إحراق المنطقة من أجل اشاحة نظر المجموعة الدوليّة عن برنامج دولته النووي العسكري. كما يفتّش حزب الله عن جعل نفسه محور النزاع الإسرائيلي الفلسطيني؛ فأمين عام حزب الله وقائده توجّه قبل أيام إلى دمشق فقط للتأكّد من ان خالد مشعل (زعيم حماس) لن يأمر بإطلاق سراح شاليط. أقول لك بكلّ وضوح ان السلطات الإسرائيليّة ليست لديها أي نيّة لإعطاء حزب الله حق الفيتو في حلّ النزاع الإسرائيلي الفلسطيني.

رزيرة بتواصل دائم من خلال الاتصالات الهاتفيّة مع حلفائها الأميركيين والبريطانيين والفرنسيين وتعمل مع المجموعة الدوليّة لتكثيف جهودها للتصويت على قرار يطلب من لبنان ويوكله مهمّة تجريد حزب الله من سلاحه. «من المؤسف أنه كلّما انسحبنا من الأراضي اللبنانيّة التي كنا نحتلّها إلى ما وراء الحدود الدوليّة المعترف بها تستغلّ المجموعات الإرهابيّة الفرص لقصف المدنيين. بالأمس أطلقت حركة حماس صواريخ قسّام على اشكلون والبوم كاتيوشا على نهاريا: لقد مضى ست سنوات على انسحابنا من لبنان فماذا فعلت المجموعة الدوليّة لنزع سلاح حزب الله؟».

في مقرّ هيئة الأركان (وزارة الدفاع الاسرائيليّة) «هناك إصرار لتحميل الحكومة اللبنانيّة المسؤوليّة عن العمليّات العسكريّة المنطلقة من أراضيها. لكننا بالمقابل نريد تعطيل الحملة الدوليّة علينا لقصفنا مدرجات المطار الدولي لبيروت فهدفنا من ذلك منع تهريب جنديينا المختطفين إلى إيران، وكذلك وصون الأسلحة من طهران إلى حزب الله وكذلك بالنسبة للحصار البحري وقصفنا للجسور في جنوب لبنان هو من أجل منع انتقال عناصر حزب الله من بيروت نحو الجنوب في المنطقة الحدوديّة» هذا ما صرح لي مساء 13 تموز - يوليو قائد القوّا المسلّحة ويزر كوبر.

فيما الشمس تسطع على تل أبيب المدينة الساحليّة الكبيرة حيث الحركة الاقتصاديّة المزدهرة والتي لم تتأثر في بداية الحرب، في جنوب البلاد، تجمع عشرات المناضلين الاسرائيليين المنضوين تحت لواء «حركة السلام الآن» يتظاهرون أمام بوابة وزارة الدفاع المؤسسة العسكرية الإسرائيليّة - الوحيدة التي لم ينقلها الرئيس بن غوريون إلى القدس - من أجل المطالبة بوقف العمليات العسكريّة في لبنان، انها نقطة ماء قسريّة في الرأي العام الإسرائيلي ضدّ القسم الأكبر المحبّذ والداعم جداً لمبدأ العمليّة العسكريّة الجارية.

الفصل الثالث

حيفا مدينة أشباح

حيفا ثالث أكبر كتلة شعبيّة في إسرائيل بعد تل أبيب والقدس، هذا اليوم الأحد 16 تموز ـ يوليو 2006، أشبه بمدينة الأشباح: متاجر مقفلة، سيارات قليلة في الشوارع، شواطىء وأرصفة خالية حركة مشلولة نهائياً في المرفأ. والشعب يتبع التعليمات من رسائل الشرطة المبينة على المحطات الاعلانيّة الوطنية والتي تجبرهم على العودة إلى منازلهم بعد الساعة التاسعة والاختباء فيها.

لقد تلقّت المدينة هذا الصباح أوّل قصف صاروخي في تاريخها، صواريخ من نوع رعد صنع إيراني أطلقها حزب الله من مسافة تتعدّى الأربعين كيلومتراً من تحصينات في جنوب لبنان وهذه الصواريخ غير المجهّزة بالليزر تبقى غامضة تماماً. سبعة منها فقط سقطت في البحر ولكن عند الساعة التاسعة وقع

صاروخ من نوع رعد على مصنع لإصلاح القطارات التابعة للمؤسّسة الوطنية لسكك الحديد الإسرائيليّة في عمق المنطقة الصناعيّة. يوم الأحد (انه اليوم الأوّل من الأسبوع في اسرائيل) الموازي ليوم الاثنين عندنا. ثلاثون عاملاً ومهنياً في أوج العمل، فخرق الصاروخ السقف لينفجر في الداخل بين مقصورتين ناشراً الرعب والموت في كلّ الأنحاء والمنطقة. ثمانية عمّال قتلوا، وقتل تاسع بعد ساعتين متأثراً بجراحه وستة آخرون أصيبوا بجراح خطيرة نقلوا بسيّارات الإسعاف إلى مستشفيات حيفا.

في إسرائيل، البلد الذي تعرض لموجة استثنائيّة من عمليّات انتحاريّة من عام 2001 إلى 2004، أعمال النجدة والإسعاف فيه متقدّمة للغاية.

عزلت الشرطة الحي المستهدف حتى تفسح المجال لاختصاصيي المتفجّرات لإتمام عملهم جيّداً بعيداً عن أنظار الحشرين والمتسكّعين لإخلاء الساحة ولإجلاء جميع القتلى والجرحى. عاين الخبراء ورفعوا الشظايا لإرسالها بسرعة إلى المختبرات المختصّة.

بالمقابل رفع متطوّعو الجمعيات الدينيّة المتطرّفة الخاصة أشلاء الضحايا البشريّة وأقاموا الطقوس الدينيّة الخاصّة باليهوديّة. بعدما أخليت الساحة نهائياً جاء دور الاعلام. و.

أن فهمت إسرائيل مجازفات الحرب الغير المباشرة أمّنت وصول الصحافيين الناطقين باللغة الفرنسيّة والانكليزيّة بسرعة للإجابة فوراً على أسئلتهم مع مندوبي الأجهزة الإعلاميّة المرئيّة الأجنبيّة والوافدين بالعشرات لتصوير المكان المدمر. واكتفى الناطق الرسمي باسم الشرطة المحقّق (ميشي روزنفلد) بإصدار إحصائية نتائج العدوان بالأرقام والأفعال بصوت خافت وحزين. بعد خمسة أيام من هذه العمليّة التفجيريّة سقط حوالي أربعماية قذيفة على شمال اسرائيل.

«يتعدى عدد السكّان المهدّد والمستهدف بعمليات القصف من حزب الله النصف مليون نسمة» شرح لي المحقق روزنفلد وتابع «لقد أعطيت الأوامر بإلغاء جميع النشاطات الثقافيّة والرياضية التي كانت ستجري في الهواء الطلق ومنها المهرجان الشعبي الذي يقام على شواطىء حيفا في هذا الوقت من الصيف».

مريام اليزن الناطقة الأولى باسم مكتب رئيس الوزراء جزمت أمام الكاميرات، لتظهر صلابة وحزم السلطة الإسرائيليّة بقولها: «لن نرضخ لهم، بلغة انكليزيّة واضحة إنها قضيّة حرب مصير طويلة».

لقد ارتكب حزب الله ضد إسرائيل عدواناً وتحدّياً سافراً، فيما نحن انسحبنا من الأراضي اللبنانيّة منذ سنوات. لن

نقبل بعد الآن تعرّض مدننا وقرانا لرعب حزب الله، الحركة المدعومة والمموّلة من إيران ولهذا قطعنا عليهم طرق الإمدادا الجويّة والبحريّة والبريّة وحمّلنا لبنان مسؤوليّة الاعتداءات المنطلقة من أراضيه، ونصرّ اليوم أكثر من قبل على انتشار الجيش اللبناني النظامي ليستلم الحدود وليس حزب الله. كما يفرض القرار 1559 الصادر عن مجلس الأمن الدولي للأمم المتحدة.

عند أعالي حيفا في حي نڤاشنين MLH (ويعني باليهوديّة الواحة) لا أثر لأي خيال في الخارج وشرائط من البيارق الإسرائيليّة تزين مداخل المباني، بعض العائلات قصدت الملاجئ، حيث يتابعون باستمرار الأخبار على شاشة المحطة الوطنية للتلفزيون الإسرائيلي لكنّ أغلبيّتهم لم يغادروا منازلهم، يستمتعون بالمشاهدة الحيّة لمنظر الخليج من وقت لآخر وبمرور طائرات الهيليكوبتر العسكريّة تنطلقان اثنان معاً. هناك يمكن تحديد موقع التلال المجاورة للحدود اللبنانيّة.

صعدت امرأة سلّم الباطون للملجأ المؤدّي إلى منزلها وردّت على أسئلتنا، تدعى «هنّا» وتبلغ من العمر ثمانية وأربعين عاماً، مهندسة ديكور تركت مكان عملها الواقع في المرفأ عند سقوط أوّل صاروخ وأتت للتأكّد من ان عائلتها ما زالت على قيد الحياة ومعافية. «منزلنا الواقع في الشمال غير آمن وغير

مجهّز لحالات الحرب لأن المبنى حيث نقطن أُنشىء في سنة 1986 في زمن لم يرد ببال أحد ان حيفا ستقصف». «هنَا» التي صوتت لحزب كاديما الحزب المتشدّد الذي أسّسه شارون في الانتخابات الأخيرة، تدعم بقوّة وللنهاية العمليّة ضد لبنان والمقرّرة من حكومة بلادها، لأن «اسلامي حزب الله» على حد قولها «فسروا حبنا للسلام بالتخاذل والضعف ولذلك تجرّأوا بالتعرّض لنا، ماذا يريدون؟ إن هؤلاء الناس لا يهتمون للسلام ولا يهتمّون لأمر الاقتصاد، ولا حتى لمعنى الحياة. هدفهم الوحيد هو الاستشهاد».

الفصل الرابع

الرفاهية الوهميّة للحرب بعيدة المدى

على طول الطريق السياحيّة 89 والتي تتفرع من الغرب تقع مدينة نهاريا الجبليّة المواجهة للجولان، تمر بالطرق الوعرة. من جو السلام إلى جو الحرب ابتداء من المتاريس ابيّة بقطر 500 متر. على جوانب الطرق فوج من سلاح المدفعيّة الإسرائيليّة ركز قذائف /155/ عند فوهات المدافع. انا على بعد خمس كيلومترات من الخط الأزرق الذي يرسم الحدود مع لبنان على مرمى النظر أغلبيّة عناصر المدفعيّة هم من المجنّدين في العقد الثاني من العمر كلّ واحد منهم يكمل مهمّته بهدوء والتي هي بالنسبة لهم ليست سوى تمرين. لكن القذائف التي يطلقها هي فعلاً حقيقيّة وستصلون بعد ثوان بالأراضي اللبنانية من أجل التنسيق الميداني. أما جنود تساحال

فهم مطمئنون لأنهم يدركون أ · الله لا يملك الوسائل التي تستطيع تحديد مواقعهم، فلا يمكن إلاّ أن يردوا بالكاتيوشا. النظام يفرض عليهم أن يبقوا حاملين بنادق «جليل» مجهزّة للإطلاق وعلى أهبة الاستعداد. لم نشاهد ثكنات عسكريّة هنا فمن المفترض أنها الجبهة (من سن الثمانية عشر مع الاسرائيليين يؤدّون واجبهم العسكري لمدّة ثلاث سنوا للذكور وستين للإناث)، مجموعة منهم تحمل دزينتين من القذائف من عيار 155 على شكل مكوك من خمس فوهات من العيار الثقيل، عربة أخرى مركّز عليها مدفع بأربع فوهات من العيار القصير، بعد طلقة من المدفع الأوّل يسود صمت لدقيقة بعدها يبدأ الثاني، وهكذا يتناوب الاثنين.

ويغطّي هؤلاء المشاركين بالقصف كالعرض المنظّم غيوم من الدخان والغبار الأحمر. فهؤلاء المجنّدين الذين يقومون بدور ليس لهم يمررون النكات وهم يتبادلون الأحاديث الهاتفيّة. من وراء التحصينات يتحرّك خيال شخصين يرتديان عباءة سوداء طويلة بلحى بيضاء ويعتمران قبّعة سوداء كبيرة، ويتناقض لباسهم القاتم مع وجوه جنود تساحال الباهتة. انهما رجلا دين (لجمعيّة يهوديّة أرثوذكسيّة مقرّها في نيويورك) يقطنان في القرية المجاورة. لقد جاءوا لأخذ أسماء جنود المدفعيّة لمنحهم بعد ذلك رسالة من التوراة (ويفترضون

أن ذلك سيحميهم بالمستقبل من الأعداء). أغلبية الجنود يستقبلونهم بابتسامة عريضة على الشفاه بدون الاستهزاء بهم أو رفض أفكارهم الخاصة المقدّسة.

في وسط البلدة الهادئة لصفد عند عشرين كيلومتراً على مرمى حجر من الحدود، تتمركز القيادة العامة للمنطقة الشمالية. عند مدخل صالة الاستقبال اصطفت صور القادة العسكريين المتتالين منذ عام 1948 نتعرّف بينهم على وجوه جنرالات في عز شبابهم مثل موشي ديان، واسحق رابين. في صالة أخرى مكيّفة مزيّنة بخارطة جوية ضخمة تشمل الأراضي من تل أبيب إلى بيروت.

شرح لي الجنرال المساعد (نائب رئيس الجبهة) الشماليّة الاستراتيجيّة التي قادت إلى هذه الحرب المرحليّة: «لست حزيناً من هذه الفسحة معك، ففرصة لقائك تسمح لي بالهروب لوقت من التحصينات البرية حيث توجد غرفة القيادة والعمليات البعيدة المدى»، قال مازحاً قائد المدفعية شوقي شرير. وبعدها دخل في صلب الموضوع الحي: «لم نطلق إسم (تبديل الوجهة) بالصدفة لعمليتنا ومنذ انسحابنا من جنوب لبنان عام 2000 لم تقم الحكومة اللبنانيّة بأيّ جهد لتجريد حزب الله من سلاحه الذي لم يتوقّف عن تهديدنا عند الحدود. لمدّة ست سنوات تحملنا العمليات

العسكرية لحزب الله، ولم نرد لأننا لا نريد أن نتهم بالعدوانية من قبل الرأي العام العالمي. بعد العملية الواضحة كليّاً الاربعاء الماضي، قرر أن نضع حداً لمرّة واحدة وأخيرة لهذه الحرب حرب العصابات». وتوقّع الجنرال بان الضربات الجويّة والبحريّة والبريّة على الأراضي اللبنانيّة سوف تسمح بتدمير «نصف ذخيرة القذائف والصواريخ لحزب الله». من مجموع ما يقارب آلاف الصواريخ التي سقطت بكثافة على شمال إسرائيل خلال الأيام الأربعة الأخيرة. ويمكن للجنرال أن يفرّق بين الكاتيوشا الكلاسيكية، تلك المعدّلة في إيران لزيادة حمولتها، وغراد 1 وغراد 2 المصنوعة في سوريا، والصواريخ الاستراتيجيّة فجر 3 (بقطر 240 ملم ويصل لمسافة 45 كلم) وفجر 5 (330 ملم ويصل مداه إلى 75 كيلومتر وهي مصنوعة في

أهداف العمليّة التي تدور واضحة: «نزع سلاح حزب الله، انتشار الجيش اللبناني النظامي على الحدود، تحرير الجنديين الأسيرين ».

كلّما تبلّغ الجنرال بعمليات الكوموندس الإسرائيلي المتعاقبة على الأراضي اللبنانيّة كلّما استبعد اجتياح برّي شامل. وعند سؤالي عن الخسائر البشريّة في صفوف الشعب اللبناني كان الجوا . «اسرائيل دولة أخلاقيّة

فجنودها لا يتعرضون مباشرة إلى السكان المدنيين وهذه تشكّل صعوبة لنا لأن حزب الله ينشر قوّاته طوعياً بين السكان. لدينا الوسائل والإمكانيّة لإغراق لبنان في الظلمة، من حرمانه من المياه، من تجويع شعبه، لكننا لم نفعل».

الفصل الخامس

تفاؤل حكومي وعسكري

مرّ أسبوع على الحرب وحكومة إسرائيل في وضع يعتبر نفسه متقدّماً. في استفتاء أجري في 18 تموز - يوليو تبيّن ا 86% من الشعب الإسرائيلي يحبّذ العمليات الجويّة والبحريّة للجيش الإسرائيلي ضد الأراضي اللبنانيّة. غالبية الاسرائيليين لا ينتقدون بنفس الدرجة سياسة حكومتهم. فالاسرائيليون المنقسمون من جهة بالاستراتيجية المتبعة ضدّ فلسطين في غزة والضفة الغربيّة، هم موحدون من جهة أخرى مع سياسة حكومتهم باعتبار ان التهديد الذي يفرضه حزب الله على شمال الدولة اليهوديّة يجب أن يوضع له حد وللمرّة الأخيرة.

على الصعيد العالمي أعلن رئيس الوزراء انه حصل على الضوء الأخضر من حليفه الأكبر الأميركي، لإنهاء العمليّة خلال أربعة أيام ضدّ حزب الله. كما أعلن رئيس الأركان انه مطمئن

إلى إمكانية قطع طريق امدادات آلاف الصواريخ المرسلة من مصدرها من إيران ودمشق العاصمتين العسكريتين القريبتين للتنظيم الشيعي من الناحية المادية والسياسيّة.

لم تقلق الحكومة الإسرائيليّة من الانتقادات الموجهة من المجموعة الأوروبيّة، وفي مقدّمتها فرنسا بالنسبة لطبيعة ردّة فعلها المتفاوتة من العمليّة العسكريّة فهي تعلم في الحقيقة ا أهداف هذه المجموعة الاستراتيجيّة تقضي بتدمير البنية العسكرية لحزب الله وتجريده من سلاحه ونشر القوى النظاميّة للجيش اللبناني على كلّ الحدود الجنوبيّة، ويقترحون في كلّ الرسائل تنفيذ القرار 1559 لمجلس الأمن الدولي للأمم المتحدة والمقترح من قبل دولتي فرنسا والولايات المتحدة. ومن جهة أخرى طالب المجتمع الدولي من حزب الله إعادة الجنديين الاسرائيليين الأسيرين.

في أيار - مايو 2000 قرّر رئيس الوزراء آنذاك ايهود براك الانسحاب الأحادي من المنطقة الأمنيّة (الشريط الحدودي) والتي كان يحتلها الإسرائيليون. هذا الانسحاب اعتبره حزب الله نقطة ضعف وتراجع من اسرائيل ونصراً له. بعد ستة أيام على الانسحاب نظّم حزب الله احتفالاً كبيراً للتحرير في بنت جبيل كنت يومها بين الحضور. وبخطاب معدّ ومدروس جيّداً أعلن السيّد حسن نصرالله الخلاصة التالية: «ان مقاتليه برهنوا للعالم

العربي ان نظريّة الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر قد سقطت، وعلى الفلسطينيين أن يتراجعوا عن خديعة ما يسمى عمليّة السلام وأن يعودوا للقتال ضد الكيان الإسرائيلي الغاصب، البلد الذي لا تعترف منظّمته بحقّ وجوده».

وفي شهر أيلول - سبتمبر من العام نفسه، عاد القتال مباشرة بعد أن قام اريال شارون (نائب المعارضة آنذاك) بزيارة اعتبرها الفلسطينيون استفزازيّة للمسجد الأقصى في القدس.

خلال السنوات الست الماضية، كثّف حزب الله عمليات الانتهاك ضدّ حرّاس الحدود الاسرائيلي، ودون الكف عن الإختراق والتسلّل داخل الأراضي الإسرائيليّة في أغلب الأحيان. الحقيقة حتى نهار عمليّة 12 تموز - يوليو 2006 كانت سياسة إسرائيل الاستراتيجيّة عدم الردّ على تلك الخروقات على أمل ان تتوصّل المجموعة الدوليّة والحكومة اللبنانيّة لحلّ يقضي بتجريد حزب الله من سلاحه، وطالما ان القرار 1559 لم يطبّق فقد قررت الحكومة الإسرائيليّة في هذا الملف أن تلعب في لبنان الشرعيّة الدوليّة دورها حتى النهاية. خاب أمل الحكومة الإسرائيليّة بالانسحاب السوري من لبنان الذي تمّ في آذار - مارس 2005 والذي حصل بسبب الضغط الدولي الاستثنائي على أثر استشهاد الرئيس السابق للحكومة رفيق الحريري، وبسرعة ظهر ان سوريا تأمل أن يحتفظ حزب الله بوضعيته

الحالية. فمن وجهة نظرها وبالنسبة إلى دمشق، المنظمة الشيعيّة تشكّل ضغطاً عسكرياً ضدّ العدو الاسرائيلي محيّدة الحدود السورية من الاعتداء، ومشكّلة بذلك «مواجهة بالإستعارة» لأنها مجابهة تدور على أرض غيرها.

يوم الاربعاء في 12 تموز - يوليو ليلاً اجتمع مجلس الأمن الإسرائيلي واتخذ قراراً استراتيجياً لا عودة عنه: هذه اللعبة الصغيرة يجب أن تنتهي. ولكن بعد أسبوع من بداية العدوان، إسرائيل ليست مستعدّة وجاهزة لاختراق لبنان من البرّ لتدمير حزب الله. فالاجتياح في حزيران - يونيو 1982 (الذي قاده وزير الدفاع شارون في ذلك الوقت) ترك ذكريات سيئة لدى الجنود والشعب الإسرائيلي (عدد كبير من الجنود الاسرائيليين سقطوا قتلى في لبنان بين حزيران - يونيو 1982 وأيار - مايو 2000) فيما في حرب الغفران ما زالت ذكراها الكارثيّة ماثلة في الأذهان. لواء تساحال والذي هو من قوّات الإحتياط ليس محضراً ومهيّئاً أخلاقياً ونفسياً للولوج في المعارك القذرة لحرب العصابات ضدّ حزب الله، المتمدّد بين المجموعات السكنيّة الكثيفة.

«يبدو اننا استخلصنا العبر والدروس لعملياتنا في لبنان منذ عام 1982 إلى العام 2000 وأيضاً من الحالة التي وصل إليها حالياً الجيش الأميركي في العراق». يشرح لي الجنرال شلومو

بروم والذي قضى فترة خدمته في التدريب العسكري، هو الآن باحث شهير في مركز جافيه للدراسات الاستراتيجيّة الجامعيّة في تل أبيب. «في هذه الأزمات غير المتوازنة، فالاجتياح التام لا يشكّل أي صعوبة عسكريّة ولكن السؤال الواجب أن نطرحه أي حكومة تقبل القيام بأيّ اجتياح: ما هو العمل بعد ذلك؟».

لقد حفظت إسرائيل منذ اجتياحها للبنان عام 1982 درساً وهو: يمكن لأيّ سلطة ديموقراطيّة تجتاح برياً أن تفقد شرعيّتها على صعد ثلاث، دولياً: فهي ستدان سريعاً انها «سلطة احتلال»، أما على الصعيد الداخلي: عند أوّل خلاف أو نزاع بين السكان المدنيين والمحتلّين سوف تقوم مجموعات من المواطنين بالتظاهر لرفض هذه الحرب القذرة المقرفة باسمهم. ثالثاً وأخيراً: لا يلبث الاجتياح العسكري أن يفقد بعد فترة كلّ شرعية من الشعوب المحتلّة، ففي حزيران ـ يونيو 1982 استقبلت مواكب الجيش الإسرائيلي بالزهور من قبل أهالي وسكّان القرى الشيعيّة في جنوب لبنان مسرورين من التخلّص من الميليشيات الفلسطينيّة لمنظّمة التحرير الفلسطينيّة، ولكنهم لم يتأخّروا بعد ذلك في التعرّض للمحتلّين الاسرائيليين.

اعتبر جنرالات عدّة ان خلق منطقة من الأمن الإسرائيلي عازلة في جنوب لبنان بين 1996 ـ 2000 (المسافة التي تمتد من الحدود الإسرائيليّة حتى نهر الليطاني اللبناني) هي خطأ

راتيجياً. «لأنَّ ذلك لم يمنع اطلاق الصواريخ على قرانا الشماليّة وكما أنّه خلق حالة استعماريّة، والتي منحت حزب الله شرعيّة قويّة، في لبنان وفي الخارج»

وقد لفت نظري الجنرال بروم إلى:

«اراد الجيش الإسرائيلي أن يحطم الستاتيكو والذي يتلاءم جداً مع استراتيجيّة حزب الله الذراع المسلّح لسوريا وإيران بالقصف العنيف من الجو والبحر للأراضي اللبنانية.
حزب الله ان يتذرع بنزاع لخلق توتر ضدنا بحجج ووسائل مثل منطقة مزارع شبعا أو إطلاق سراح جميع الأسرى اللبنانيين وبما انهم ذهبوا بعيداً في هذه اللعبة الصغيرة قررنا أن نضع حداً لكلّ ذلك» قال الجنرال ببرودة. «على حدود هضبة الجولان، تقع منطقة مزارع شبعا تابعة في الحقيقة إلى الدولة السورية حسب خرائط الأمم المتحدة.

أما فيما يختص بالسجناء المعتقلين في إسرائيل وحتى اليوم 19 تموز - يوليو لم تعد إسرائيل تحتفظ إلاّ بثلاثة معتقلين بينهم المشهور سمير القنطار، المسؤول عن مقتل عائلة من الباحثين الإسرائيليين على شاطىء نهاريا. لكننا لن ندخل في اللعبة كما يتمنى نصرالله إدارتها فإعادة احتلال جنوب لبنان، ستمنح حزب الله شرعية لحركته المقاومة الوطنيّة». تابع شلومو بروم. الأعمال البرية للجيش الاسرائيلي إذن، قدّر الجنرال بأنها

ستكون مهمّات محدودة مثل تلك التي حصلت في 18 تموز - يوليو صباحاً. وحدات من النخبة الإسرائيليّة محميّة من مجموعات المجنّدين باشروا بتدمير التحصينات العديدة والتي بناها مقاتلو حزب الله على طول الحدود منذ أ. - مايو 2000.

على صعيد الرأي العام الدولي، بدت الحكومة الإسرائيليّة بمواقفها العدوانيّة بالنسبة له مقبولة. فهامش عملها على الساحة هو إنتشار القوّة الدوليّة كقوّة مواجهة وحيدة إضافة إلى الجيش اللبناني على الحدود حتى الليطاني أفضل لاسرائيل من انتشار الجيش اللبناني فقط ويعتبر بالنسبة للدولة اليهوديّة هدفاً مقبولاً يحدّ من فعالية حزب الله.

أسبوع بعد بداية العدوان ما زالت القدس تأمل بضغوطات دبلوماسية على سوريا وإيران من المجموعة الدوليّة. وتتكّل إسرائيل أيضاً على الضغوط السريّة التي يمكن أن تنشط من جرّاء التجمعات لأحزاب لبنانيّة من المسيحيين والمسلمين والدروز، وتعلم تماماً إسرائيل ان تفكيك هيكليّة حزب الله العسكريّة هدف صعب المنال. وحيث أن انتشار الجيش اللبناني على الحدود الجنوبيّة، وانسحاب حزب الله إلى شمالي نهر الليطاني، والتوقّف النهائي عن إطلاق الصواريخ، هذه الإجراءات تكفي لدفع الحكومة الإسرائيليّة لوقف عمليّتها العسكريّة. وتبقى المشكلة من الناحية الأخرى للحدود، فليس

في نيّة حزب الله أن يقبل أي دور للوساطات العربية السلمية فيما الشارع العربي يمكن ان يعتبر القبول بالشروط الإسرائيلية تعبير عن هزيمة.

الفصل السادس

عندما تتساءل إسرائيل فيما إذا ترك حزب الله أسلحة سريّة لم يستعملها

عشرة أيّام بعد العدوان، تساءل أحد الإستراتيجيين الإسرائيليين لماذا لم يستعمل حزب الله صواريخ زلزال ذات المدى الطويل (أكثر من 200 كلم) والتي سلّمته إياها إيران باستمرار خلال السنوات الماضية. الزلزال (يعني بالعربية هزة أرضية قوية) نوع من الصواريخ التي تحمل وتطلق من الشاحنات. إنه صاروخ تكتيكي بمحتوى وقود صلب يطلق بسرعة كبيرة لأنه بعكس الصواريخ الأخرى التي تتطلّب تحضيراً مثل الصواريخ ذات الكاربور السائل والواجب توليتها قبل إطلاقها مباشرة (كالغراد والكاتيوشا) والتي تتطلّب عملية حسابيّة للمثلّثات المحرّكة، فصواريخ زلزال مجهزة بنظام إطلاق موجّه مبرمج. بالتأكيد إنه صلب، مرتكز على ابتكار قديم

جامد، كالصواريخ الغربية موجهة بالأقمار الإصطناعية فما من شكّ بأنه في يوم ما يمكن لهذه الصواريخ (زلزال) أن تطال تل أبيب العاصمة الاقتصاديّة للدولة الاسرائيليّة.

في اليوم السابع من العدوان نفذ قصف جوّي طال شاحنة تحمل صواريخ زلزال فور خروجها من مستودعاتها «المكان المخبأ» في منطقة جنوب بيروت (مكان التحميل)، تصاعد الدخان بعد الإنفجار الذي دفع بأحد الصواريخ للانطلاق في الجو وبعدها سقط في الأراضي اللبنانيّة وتساءل قائد الجيش الإسرائيلي لماذا خاطر حزب الله بعمليّة النقل هذه في وضح النهار وهو يعلم ان الأراضي اللبنانيّة تحت المراقبة من أجهزة التجسس باستمرار. هل لأنه لم يعد يأمن لمكان تخزينه؟ أو أنه يأمل بنقله بأقرب وقت إلى الجنوب هناك حيث استعماله يسمح له بتهديد تل أبيب؟ اعتبر الاسرائيليون أن إيران لم تعط حتى الآن الضوء الأخضر لاستعمال زلزال، وعليه طلبت إخفاؤه لنوايا إسرائيل في حال قررت قصف المعمل الكيميائي الايراني لتطوير الاورانيوم في ناتانز.

يعتقد الإسرائيليون ان نصرالله يفضّل الاحتفاظ بوتيرة منخفضة نسبياً في نزاعه مع إسرائيل منذ عام 2000، فاتبع استراتيجيّة متدرجة من المفاجآت، أما بعد تعرّض لبنان لهذا القصف الجوّي الهجومي الواسع، فلا يمكنه أن يقف مكتوف

الأيدي (في يوم هجوم صاروخي على بارجة اسرائيليّة، يوم آخر ظهور على شاشة التلفزة بعد تدمير التحصينات لمقره حيث كان يفترض أن يكون، ظهر بعيون ملايين المؤيّدين له في الشارع العربي بالمنتصر على العدو). لكن قادة وضباط استخبارات الجيش الإسرائيلي أوجزوا لي انه في 21 تموز - يوليو في فندق سرّي في نتانيا لم يستبعدوا في أي وقت أن يأمر نصر الله باستعمال صواريخ زلزال على تل أبيب إذا ما أحس ان منظّمته العسكريّة مهدّدة بالتدمير الشامل.

إذن حسابات الزعيم الشيعي هي التالية:

أن يقوم الشعب الإسرائيلي بالضغط على حكومته من أجل التفاوض على وقف إطلاق نار فوري، وهذا ما حصل فعلاً. إذ بعد عشرة أيام من بداية العدوان، لم تستطع الحكومة الإسرائيليّة كشف أيّ معلومة عن استراتيجيّة حزب الله، فأجهزتهم الاستخباراتية لم تتمكّن حتى الآن من خرق التنظيم الشيعي وهؤلاء القادة يشعرون ان عمليات القصف الجوّي لا تحقق تقدّماً، وبدأ الشعور العام الذي يعتري أغلبيّة السكان الإسرائيليين، ان سلطتهم السياسيّة تتخلّى عن صلابتها الأساسيّة.

الفصل السابع

رحلة في عمق أراضي شمال اسرائيل

في يوم 23 تموز - يوليو صباحاً عندما صعدت نحو الحدود الإسرائيليّة اللبنانيّة عبر حقول الدوالي وغابات الصنوبر والسرو في أعالي قمم شمال الجليل الرائعة، كانت آثار الحرب بادية متعاقبة كلّما تقدّمت. فباستثناء موكب صمم من الرافعات الكبيرة المخصّصة لنقل الآليات العسكريّة كالدبابات والمدرّعات عائدة من الجبهة فارغة، لم ألتق بأيةُ سيارة مدنيّة على الطرقات المرتبطة والمتفرّعة من هذه المنطقة المعتبرة المنطقة السياحيّة الخضراء، وذلك حتى بدأنا نسمع الأنغام المجوقلة للسمفونيّة: صفير مزعج لإنذار عن قصف لقذائف الكاتيوشا، يتبع بعدها بأقلّ من دقيقة دوي صاروخ ثم انفجار وصوت تناثر، هدير متواصل في الجوّ طائرات استطلاع تابعة لسلاح الجو الإسرائيلي، المدفعيّة المجهزة تدك من الخلف

بقذائف من عيار 155 ملم مواقع حزب الله المحصنة.

بالاقتراب من مستوطنة أفيفيم الواقعة على الحدود يتبدّل المنظر كليّاً، فجأة حصاد محترق بالكامل، أبنية ملطّخة بالشظايا ويكسوها الغبار والحطام. المنطقة تلقّت بوضوح سلسلة من صواريخ الكاتيوشا. مستوطنة البلدة حيث الملكيّة الزراعيّة هي جماعيّة بعكس مستوطنة كيبوز حيث السكن هو جماعي، يعلو بوابتها حاجز يحرسه مجنّد، فتح لنا بعد أن أبرزنا، صديقي الايطالي جيجي ريڤا وانا، بطاقاتنا المهنيّة الصحافيّة. البلدة خليط من هندسة، مقصورات على شكل مزارع جداريّة مهجورة من أهلها، بعض قطع الثياب متدلّية في الحدائق المهملة، علامة الإخلاء المفاجيء. استعنت بأحد الحمير وركبت ظهره بسبب وعورة الطريق وصعدنا بواسطته إحدى الجبال خلف المستوطة لنفاجأ بجبل آخر، ولكن هذه المرة كان جبلٌ من دخان يتمادى أمامنا إرتفاعاً طولاً وعرضاً، لقد بلغنا الحدود، وها هي ساحة المعركة أمامنا.

شاهدنا خيالات مبانٍ لقرية لبنانية بعيدة. عند نصف التلّة، نلاحظ صفوف من المدرّعات الإسرائيليّة أوقفت سيرها، وعند الدرب المؤدّية إلى القرية عند الجانب الغربي والشرقي صف من الشاحنات العسكريّة المتوقّفة بالتساوي.

كان أحد التلفزيونات الرسمية الإسرائيلية يبث مباشرة

على الهواء من سقف منزل مهجور وبواسطة شاحنة نقل مجهَّزة بهوائي «ساتيلايت» ركنها في أسفل المنزل، مرسلاً الصّور حيّةً إلى العالم أجمع، فاستطعت أن أتبيَّن منه إسم القرية اللبنانية المقابلة والتي تتعرض للقصف، إنها «مارون الراس» التي تدكها مدرّعات تساحال.

يوم الخميس في 21 تموز - يوليو تسلّل مقاتلون من حزب الله وقتلوا خمسة جنود اسرائيليين بكمين مسلّح بعد أن حاولوا تدمير تحصيناتهم.

أوقفت المدرّعات الإسرائيليّة تقدّمها باتجاه مارون الراس، خوفاً من كمين جديد لحزب الله الذي يستخدم صواريخ مضادة للدبابات موجّهة «ساغر» من صنع سوفياتي (معادلة للقذائف الفرنسيّة ميلان). دخان القصف المرتفع من القرية المدكوكة من السماء والأرض، قصف ضخم وعالٍ عندما تنفجر قذيفة جو - أرض مرميّة من سلاح الجوّ بطائرة (F16) نفاثة بارتفاع مماثل للطابق الأوّل من برج ايفل، ومتوسّطة عندما تنجم عن قصف قذائف مدفعيّة من عيار 155 ملم من وراء الحدود.

إسرائيل والتي بالنسبة لها حياة أي جندي مقدّسة، ليس لديها النيّة أن تخسر رجل إضافي لأجل الاستيلاء وتمشيط قرية مارون الراس. أخذ لواء تساحال كلّ وقته متكلاً على كثافة النار المشنّة من الخلف.

يعود الهدوء لفترات فجأة نسمع غناء الصرصار وتنشّق من جديد رائحة التين ونستسلم للنسيم العليل في الجبل. منذ وقت قليل كنا نخال أنفسنا في قرية مهجورة من البلاد البعيدة. جلسنا جيجي وأنا في ظلّ أشجار الحديقة المهجورة لأخذ بعض الملاحظات وللاستراحة. فجأة استيقظنا على صفير شبيه بصوت انطلاق الألعاب الناريّة، تبعه بعد ثانيتين بانفجار هزّ الأرض والجو. لقد سقطت قذيفة كاتيوشا على بعد مئة متر من موقعنا ومتبعة بقذيفة أخرى. فمقاتلو حزب الله عنيدون يدافعون بصلابة وقوّة، ويبرهنون ان القتال عن قرب لا يجبرهم على الفرار، ولا يستسلمون. فالمنظّمات الاسلاميّة بوضوح أساتذة في فنّ الكمائن وإطلاق النار بدو استعداد. في هذا الصراع حيث نجاح التكتيك الصحيح يحسب له ألف حساب أكثر من الأرباح النفسيّة أو غير المباشرة، نجح حزب الله بالتأكيد في تسجيل نقاط على الجليل. في هذا اليوم، (صفد) والتي توجّهت إليها منذ بضعة أيام هي اليوم أشبه بمدينة أشباح رغم انها على بعد عشرين كيلومتر من الجبهة.

أخيراً على طول الطريق في شارع جابوتينكي، التقينا ثلاثة رجال يتناقشون عند دخولهم المبنى، عن إمكانيّة سقوط قذائف للكاتيوشا على المدينة وزوجاتهم لا يشاركنهن الحديث. انهم فقط ثلاث عائلات من أصل اثنين وأربعون عائلة

لم يفارقوا المبنى لكنهم رحّلوا الأطفال إلى تل أبيب والقدس، لأنه في اليوم الثاني من الحرب، قُتل أحد الدرّاجين البالغ من العمر ثلاثة وثلاثون عاماً بشظايا أحد القذائف. إحدى تلك الزوجات هي مدرسة وأم لولدين يعيشان في القدس منتظرة توقّف هذه الحرب بين يوم وآخر. توفا ريندليك ولدت هنا في عام 1949 بعد وصول والديها وهما من يهود رومانيا حيث عاشوا وترعرعوا بعد ذلك في مدينة شواه. في بداية 1948 شارك والدها في معركة الاستقلال، ا رجل متفائل، توقّع انه سينهي حياته في إسرائيل بسلام مع محيطها، لم يتصور بدون شك ان لبنان سيؤخذ رهينة، بحركة دينيّة شيعيّة، أفضت توفا وهي تقدّم القهوة التركيّة للزائر الفرنسي المفاجئ: «الحكومة الإسرائيليّة على حق يمكنها أن تتخلّص لمرّة واحدة وأخيرة من حزب الله لمصلحتها ولمصلحة لبنان». وعندما نظرنا إلى آثار الخسائر الانسانيّة والماديّة المتكبّدة من الاعتداءات على المستوطنة من حزب الله أجابت (توفا): «اسرائيل بلد أخلاقي أكثر من غيره، إنه يدعو السكان والمدنيين والشعب للإخلاء قبل كلّ قصف. إننا نأسف لكلّ هؤلاء الأطفال القتلى في لبنان، ولكن ماذا يريد حزب الله وإيران؟ يريدان الموت لاسرائيل.
ما تعرّضت باريس إلى قصف بالصواريخ، هل تتأخّرون عن الدفاع عن أنفسكم»؟

بعد خروجي من عند نوفا وبعد اجتياز إحدى الساحات المخصصة للعب الأطفال والتي أضحت صحراء مقفرة، نكتشف قصر قديم واسع بملامح دير محصن «مركز جمعيّة ولفسون»، الباب مفتوح للسماح كما يخيّل، لإيواء المتشرّدين من أجل الاختباء تحت قناطره الصلبة والثقيلة في حال القصف. إن السراي القديم لصفد شيّد في عام 1889 في عهد العثمانيين كمقر إقليمي لحكومتهم ورمّمت من العالم البريطاني السير اسحق ولنسون، توجد لوحة على البوّابة كتب عليها: «اثر الاحتجاجات الصهيونيّة في عام 1929، جمعت السلطات البريطانيّة جميع اليهود في قاعة السراي لحمايتهم من العرب الذين تمكّنوا من نهب الأحياء اليهوديّة»، في عام 1948 استعمل السراي كمركز للتطوّع خُصصَ لقسم اليمين لأوّل «جند لواء تساحال». هنا تطوّع ميلو ديديش ـ والد نوفا لحماية الدولة الحديثة المستهدفة من جيرانها العرب. وتدلّ اللوحة أيضاً انه بعد ذلك تحولّت السراي إلى مأوى للمهاجرين العجزة المتحدّرين من شواه.

في إسرائيل التاريخ الذي يسرد نشأتها الغير عادية حاضر في كلّ مكان يذكّر المواطنين بأن بقاء دولتهم يعتمد على حماية سواعد أبنائها. لم تشهد أزقة هذا الحي القديم العربي من مرفا سان جاندارك والمتعرجة على طول الأسوار المشيّدة من قبل

الصليبين أي سانح منذ اثني عشر يوماً. ولكن في المساء تكتظّ المقاهي بالرجال الذين يلعبون الدومينو وطاولة الزهر، يدخنون النراجيل، تظن نفسك في أحد أحياء القاهرة بعيداً عن الحرب. فالمدينة العربيّة حيّدت عن قصف حزب الله، ولكن فقط عدّة قذائف من الكاتيوشا سقطت على الأحياء الحديثة عند الأطراف وهي بغالبيتها مسكونة من اليهود.

تسير الحياة ببطء في حي سان جاندارك في مدينة صفد والمشاعر متناقضة بسبب الحرب. اعترف سعدون الصيّاد: «اني مع السلام وتعايش جميع الديانات» ويصر على النزول إلى البحر كلّ صباح. بعض الأحيان صواريخ حزب الله تعبر الخليج الكبير لتسقط على مدينة حيفا. يجمع سعدون أسماكه في الثلاجات لأن كلّ المطاعم مقفلة فلا يستطيع بيعها، وتابع: «تصوروا الازدهار الذي سيعمّنا جميعاً على هذه الأرض المباركة إذا ما توقّف الإقتتال بالسلاح». في حين أنّ ابراهيم كهرباني عربي يعيش في الحي، يحمل أفكاراً أكثر راديكاليّة قال: «لا تتكلوا علي لأدين نصر الله الذي يعيد للعرب عزّتهم، اليهود شعب لا يعرف إلاّ نفسه فهو يسرق لك بيتك ومن ثمّ يأتي بعد ذلك ليقول لك انه مستعدّ للتحاور معك من أجل إعادة غرفة واحدة من منزلك، وطالما أنّ الأراضي المحتلّة عام 1967 لم تستردّ، لن يكون هناك سلام في هذه المنطقة».

العرب الاسرائيليون في سان جان دارك هم أولاد الفلسطينيين الذين لم يتركوا أراضيهم يوم اندلعت الحرب الإسرائيليّة العربيّة عام 1948 ويتمتعون بالحقوق المدنيّة للاسرائيليين كحريّة التعبير لكنهم مستبعدون من الخدمة العسكريّة.

كان علينا الانتظار نهاية السهرة حتى إعلان الراديو الإسرائيلي الاستيلاء على قرية مارون الراس. إن مجرّد العلم أن قرية صغيرة كمارون الراس أخذت كل هذا الوقت الطويل من أجل احتلالها وهو ثلاثة أيام، يدلنا على صعوبة الطريق الطويلة والمؤلمة للآلة العسكرية الإسرائيلية في حال قررت تطهير الجنوب اللبناني كلّه. بالنسبة للاسرائيليين إنتصارات حرب 1967 أضحت بالتأكيد بعيدة المنال جداً.

الفصل الثامن

عندما يمنح الأميركيون الوقت للاسرائيليين

هناك دائماً وقت للمبادرات الضاغطة وأخرى للمفاوضات السياسيّة الجدية والسريّة في الديبلوماسيّة الحديثة، فالزيارة التي قامت بها وزيرة الخارجيّة الأميركيّة كونداليزا رايس، في 27 تموز - يوليو مساءً إلى إسرائيل تدخل في نطاق الفئة الأولى.

فالمسؤولة عن الديبلوماسيّة الأميركيّة ليس بنيّتها أ تضغط على الحكومة الإسرائيليّة لإنهاء العمليات العسكريّة على الأراضي اللبنانيّة. «لاسرائيل الحق في الدفاع عن نفسها». هذه العبارة التي طالما ردّدها الرئيس بوش خلال الأسبوعين السابقين. الولايات المتحدة والتي تصف رسمياً حزب الله بمنظّمة إرهابيّة تعتبر ان عليها استئصال قواعد حزب الله في

جنوب لبنان كإحدى ركائز (الحرب ضد الإرهاب). فهم لم ينسوا الاعتداء من حزب الله سنة 1983 في وت على مقر القوّا البحريّة المتعدّدة الجنسيات، فقضى فيها (مئتان وواحد وأربعون قتيلاً) واعتداء مماثل استهدف الوحدات العسكريّة الفرنسيّة والحصيلة (58 ثمانية وخمسون قتيلاً).

في هذه الحرب دفعت إ ‌ ل الولايات المتحدة لتغير اللعبة الديبلوماسيّة الكبيرة، فالدولة اليهوديّة لم تعد كالماضي الحليف السرّي للولايات المتحدة في الشرق الأوسط. خلال حرب الخليج (آب - أغسطس 1990 - شباط - فبراير 1991) طلبت الولايات المتحدة من إ ائيل الوقوف على الحياد فلبّت لها الطلب، فاحتلال الكويت هي قضيّة عربيّة داخليّة ويجب أن تبقى كذلك. استجابة إسرائيل وسمحت لجورج بوش الأب تجنيد المصريين والسوريين للتحالف ضدّ العراق، وعندما سقطت صواريخ «السكود» على تل أبيب امتنعت عن الردّ ونفس السيناريو أعيد عند احتلال العراق عام، 2003 وفي كلّ تحضيراتها الديبلوماسيّة وبغرابة بدت إسرائيل غير معنيّة وهادئة.

عام 2006 تغيرت الأمور، لأن الأميركيين الذين تعلّموا من فشلهم في العراق، فهموا انه لا يمكنهم أن يتموا عملهم على أكمل وجه دون الإستعانة بحلفائهم الاسرائيليين. أصبحت اليوم إسرائيل الشريك الأوّل بامتياز

للمشروع الكبير لبوش «شرق أوسط جديد». ديموقراطي.

ولكن بالإضافة إلى تكرير دعم وزيرة الخارجيّة الأميركيّة للدولة الاسرائيليّة، تكلّمت عن أشياء جديدة للمسؤولين الاسرائيليين بعد اثني عشر يوماً من الإعتداء، وبحثت معهم الوجه الانساني للأزمة. وحصلت على أمر توجيه المؤن والأدوية إلى مدينة صور والتي أصبحت في وضع مأساوي بسبب الحصار البحري، أيضاً لتمكين ترحيل عدد كبير من الأجانب الذين يملكون الهويّة الأجنبيّة في بلاد الأرز (أكانوا لبنانيين أم أجانب) للسفر إلى قبرص عن طريق البحر.

ردّد رئيس الوزراء ايهود أولمرت الذي التقى وزيرة الخارجيّة الأميركيّة صباح الثلثاء 25 تموز - يوليو موقف بلاده أمام الصحافيين الذين يغطون زيارة كوندي رايس. تابع إسرائيل تنفيذ هدف المجتمع الدولي (كما ورد في القرار 1559 من مجلس الأمن الدولي للأمم المتحدة والقاضي بتجريد حزب الله من سلاحه). فقد كان يردّ بدقة على وزير الخارجيّة الفرنسيّة والذي أبلغه ان قبل ثلاثة أيام « أن لبنان هو الذي يدمر على يد الجيش الإسرائيلي قبل كلّ شيء».

«إن مخططنا هو التالي: تدمير حزب الله، دون إسقاط الحكومة اللبنانيّة والتي تضمّ حزب الله في صفوفها، وأصرح لكم ان ذلك ليس سهلاً».

الفصل التاسع

اسرائيل تستدعي الاحتياط

في مواجهة إسرائيل مع حزب الله الذي طالما قللت من شأن قدرته القتاليّة، قلّلت وزارة الدفاع الإسرائيليّة في 26 تموز - يوليو 2006 من أهداف طموحاتها الاستراتيجيّة، ودعت إلى رفع الجهود المرجوّة لحرب دفاعاً عن الوطن. وبطلب سريع من وزارة الدفاع سمح مجلس الوزراء الإسرائيلي المصغر (المؤلّف بالإضافة إلى رئيس الوزراء، من سبعة من الوزراء المهمين الأساسيين)، في 27 تموز - يوليو باستدعاء وحدات جديدة تابعة لسلك الاحتياط. هذا الاحتياط بلغ خمسة وعشرين ألف احتياطي تضاف لعشرة آلاف احتياطي استدعوا سابقاً.

دمر سلاح الجو الإسرائيلي عدداً كبيراً من البنى التحتيّة اللبنانيّة، ولكنه بدى عاجزاً عن شلّ قدرة حزب الله، وعن منعه من إطلاق الصواريخ على شمال الأراضي الاسرائيليّة، وفي 27

تموز ـ يوليو بعد الظهر احترق معمل للمواد الكيماويّة في كريات شمونة بعد أن طالتها دفعة من الكاتيوشا. وفي اليوم ذا ٦ ، أخبار عن فقدان خمسة جنود وثلاثة ضباط في معركة داخل بلدة بنت جبيل وهي مركز قضاء في الجنوب اللبناني، كان لها الوقع الصاعق في اسرائيل، بحيث بدأ الاعتقاد العام يسود وهو السؤال «إذا ما كان الجيش أوقع نفسه في المعركة مطأطأ الرأس في الفخ الذي نصبه نصر الله».

فقادة جيشنا أخبرونا انه «خلال السنوات الماضية لا يمكن الحكم على الحرب إلاّ بعد ظهور نتائجها». «حتى الآن النتائج خائبة تماماً»، كتب يوسي ساريد. الكاتب الصحافي في هآرتس المرجع اليومي للأخبار في اسرائيل، لقد فهم الجيش الإسرائيلي من حسابه الخاص ما هي استراتيجيّة حرب العصابات للمنظمات الإسلامية «قوّة حزب الله في أنه ليس لديه أهداف على الأرض» فسر لي وبطريقة متكتّمة، أحد كبار الضباط الاسرائيليين: «هدفه لا يرتكز على الدفاع بأيّ ثمن وعلى حماية أيّ قطعة من الأراضي اللبنانيّة، هدفه قتل أكبر عدد من الجنود الاسرائيليين من أجل رفع وتمدّد نفوذه في العالم العربي. ولهذا استطاع أن يحافظ على حريّة حركته بشكل لا يتوقّع». كمائنه دائماً مجهزة بعناية، الصورة الكلاسيكيّة هي التالية: يشتبكون مع وحدة من الجيش الاسرائيلي، لحين استدعاء قوّة

دعم آ أخرى في الوقت الذي يقوم مقاتلو حزب الله بزرع الألغام ونصب الكمائن في الطرقات والمناطق المحيطة، فالمدرّعات التي تصل لنجدة المجنّدين تتوقف بدورها أو تستهدف بالصواريخ الموجهة من نوع «ساغر» من أحد المباني السكنيّة. عامل ميداني آخر يفسر الانتصارات العسكريّة لحزب الله في بداية الأسبوع الثالث للحرب، فهؤلاء المقاتلين يعرفون ساحة المعركة زقاقاً زقاقاً، وادياً وادياً، ومجهزين منذ ست سنوا - بشكل جيّد ومتسلّحين بالحماس الذي أثاروه في شوارع العواصم العربيّة. بالمقابل في مواجهتهم جنود شباب في وحدات النخبة المتطوّعة (مظليين، وغولاني) خبرتهم العسكريّة ضئيلة اكتسبوها من المعارك المبعثرة هنا وهناك في قطاع غزة.

مصدومين بالخسارة التي تلقّوها في بنت جبيل طلب قائد سلاح المشاة في هيئة الأركان زيادة المساعدة الجويّة وتعزيز سلاح المدرعات. الفكرة هي تمشيط في البداية بكتل من النار تسقط من السماء لفتح الطرقات وللتحضير لتقدّم المدرّعات، هذه الطريقة اتبعت من الجيش الأميركي في العراق في معركة الفلوجة العسكرية: «كلّ مبنى يشتبه به يتعرض بدو أيّ إنذار لنيران المشاة والمدرّعات». أمّا هنا فإن الخطر يكمن في توقع مقاتلي حزب الله متسللين في ظلام الليل من أجل فتح جبهة جديدة في مكان آخر كما هي الحال

في «المثلّث السني» ال راقي الشهير

في 12 تموز - يوليو مباشرة بعد أن اختطف الجنديان الاسرائيليين عند الحدود وعد دان حالوتس، قائد أركان الحرب بحرب قاسية، لكن قصيرة. كلّ الاسرائيليين مدنيين أو عسكريين عرفوا الآن ان الجنرال أخطأ بشكل فظيع.

الفصل العاشر

لتنهي فرنسا عملها

عقد في روما بتاريخ 26 تموز - يوليو 2006 مؤتمر عالمي للبحث في الأزمة اللبنانية والتي لم ترغب إسرائيل المشاركة فيه. جمع المؤتمر الولايات المتحدة، روسيا، والدول الأوروبية الكبرى إضافة إلى الدول العربيّة المؤثّرة.

وافق المجتمعون في المؤتمر على مبدأ نشر قوات دولية في جنوب لبنان بتفويض محدّد من مجلس الأمن الدولي، لكن المشاركين لم يتمكّنوا من الاتفاق على «وقف إطلاق نار فوري». متبنياً الموقف الإسرائيلي أصرّ الوفد الأميركي على اتخاذ حلّ «واقعي ودائم»، والذي اعترض عليه أحد قادة حزب الله في جنوب لبنان.

في اليوم التالي قابلت تسيبي ليفني وزيرة خارجيّة دولة إسرائيل عن هذا الموضوع وسألتها: هل خاب أملك بنتائج

المؤتمر الدولي في روما، بحيث لم يصدر أي اتفاق سياسي لإعادة السلام إلى لبنان، حيث تناقض مواقف الدول الأوروبيّة مع موقف الولايات المتحدة واسرائيل بمطالبة مبدئيّة بوقف إطلاق النار الفوري؟

ـ لا، ليس تماماً، أنا أرى الجهة الايجابيّة في الموضوع. لقد ذكّر المؤتمر الدولي بإعادة تطبيق القرار 1559 الصادر من مجلس الأمن والذي ينص على نزع سلاح ميليشيا حزب الله، لقد فتحت الطريق لإعلان نهائي لقمّة الدول الثمانية في سان بطرسبرغ والمحطة اللازمة والتي تدعو إلى إطلاق سراح فوري للجنديين الاسرائيليين المخطوفين في 12 تموز - يوليو وإلى وقف قصف حزب الله المدن الإسرائيليّة بالصواريخ. بالنسبة لنا دبلوماسياً انه شيء مهم جداً، ومن جهة أخرى طلب المؤتمر مبدأ خلق ممرات إنسانيّة، وهذه الفكرة كانت للرئيس الفرنسي شيراك منذ بدا- الحرب. لقد قبلنا بهذا المبدأ لأننا لسنا في حرب مع لبنان ولا مع حكومته، ولا مع الشعب المدني. إننا فقط في مواجهة مع حزب الله، والذي اعتدى على حدودنا في 12 تموز - يوليو بدون أيّ استفزاز من قبلنا، حزب الله حركة ممثّلة في المجلس النيابي ويطمح إلى التحرّك في كلّ لبنان، فلماذا اعتدوا علينا؟ في حين انه منذ انسحاب جيشنا من جنوب لبنان في أيار - مايو 2000، لاحظت الأمم المتحدة رسمياً ان إسرائيل لم تعد تحتفظ بأيّ جزء ولو صغير من الأراضي اللبنانيّة.

ـ هل أنتم مع أم ضدّ انتشار قوّة دوليّة في جنوب لبنان؟

ـ بشكل عام تفضّل دائماً إسرائيل أن تحمي نفسها، ولكن بالنسبة لوضع هذا النزاع على الحدود الإسرائيليّة اللبنانيّة نرى بوضوح رسم خطين بيانين معاكسين. الخط الأوّل والمؤلّف من المجتمع الدولي يتمنى علناً حفظ السلام على الحدود وتطبيق القرار 1559 للأمم المتحدة والذي فرض انسحاب جميع الجيوش الأجنبيّة من لبنان وتفكيك جميع الميليشيات وتجريدها من السلاح، فبعد تعرضها لضغط غير متوقّع من المجموعة الدوليّة ومن الشعب اللبناني المفجوع باستشهاد الرئيس الأسبق للوزراء رفيق الحريري، انسحبت القوات السورية على أثره من لبنان في شهر آذار ـ مارس 2005، أما الخط الثاني فهو مثلّث حزب الله ـ إيران ـ   ، فيسير وفقاً لأيديولوجيّة إسلاميّة متطرّفة متعصّبة لا تريد سلاماً في الشرق الأوسط الجديد الذي يعترف بحقّ إسرائيل في الوجود، كما يعمد إلى التدخّل في العلاقات الإسرائيليّة ـ الفلسطينية من أجل إفشال ورقة خارطة الطريق المتوافق عليها برضى من المجموعة الدوليّة. وبما أن الحكومة اللبنانيّة وقوّاتها المسلّحة غير قادرة على نزع سلاح حزب الله وأخذ دور المراقبة على الحدود الدوليّة اللبنانيّة، فإننا نوافق على مبدأ القوّات الدوليّة والتي ستساعد الحكومة اللبنانيّة لتطبيق القرار 1559 على الأرض.

ـ أبلغ الأميركيون أنهم لن يرسلوا أفواجاً من العسكر إلى جنوب لبنان والبريطانيون الغارقون في جنوب العراق ليسوا متحمسين لهذا الأمر. هل تعتقدين ان فرنسا بهذا الجنون حتى تذهب وحيدة إلى هناك؟

ـ ليست إسرائيل هي من أخذ المبادرة لتطبيق القرار 1559، إنها فرنسا هذا البلد الذي تكنّ له إسرائيل المحبّة والإحترام الكبيرين، وهي التي ساندت لبنان ودعمته في ثورة الأرز «الربيع المخملي» عام 2005، فلتنهي فرنسا عملها الرائع ولتطبق القرار المقترح من قبلها. في الملف اللبناني فإن لإسرائيل وفرنسا نفس الأهداف، ميليشيا حزب الله جرح في الجسم اللبناني، لأنها في الحقيقة ليست سوى جناح عسكري لايران في الشرق الأوسط، حركة تأسّست بتمويل وتدريب وتسليح من النظام الايراني، حزب الله يهزأ من المصالح الدولية في لبنان، انه دمية صامتة موجهة من طهران في النزاع الأشمل والمعارض لنظام «ايات الله» الايراني المتصدّي للغرب. الصعوبة هي تماماً في ان فرنسا ليس لها النية بالاندفاع في عملية عسكريّة تنتج عنها نزع سلاح حزب الله بالقوّة وهي ليست مستعدّة لإرسال جنودها إلاّ بعد إيجاد اتفاق داخل الحكومة اللبنانيّة يتمثّل فيها وزيران من حزب الله.

الفصل الحادي عشر

مأساة قانا

ليل 29 ـ 30 تموز ـ يوليو باشرت قوات سلاح الجو الإسرائيلي بقصف جوّي على قرية قانا في جنوب لبنان، التي قيل أنه انطلقت منها صواريخ باتجاه الأراضي الاسرائيليّة، إحدى القذائف الإسرائيليّة الموجّهة بالليزر سقطت على مبنى سكني، وبعدها انهار المبنى على من فيه. عشرات المدنيين بأغلبيّتهم من النساء والأطفال قُتلوا تحت الأنقاض. عند الصباح وصلت أوّل دفعة من المسعفين مع فريق من مراسلي شاشات التلفزة العالميّة الحاضرة والمتمركزة في مدينة صور. صُوَر لأطفال متهشّمين مخنوقين، ولفتيات صغيرات مضرجات بالدم على أكف المسعفين تجول العالم أجمع. شهرة مدمرة مصبوغة بالدماء لاسرائيل. تحدّث الإعلام عن خمسين قتيلاً مدنياً (لكن العدد الصحيح هو ستة وعشرون) فالحرب الجويّة

المبالغ فيها والمطبّقة من الجيش الإسرائيلي منذ سبعة عشر يوماً (أكثر من أربعة آلاف قذيفة جويّة للطائرات الحربيّة F16) برهنت عدم فعاليتها ضدّ حزب الله. فالقذائف ما زالت تزرع الجزء الجنوبي لاسرائيل (134 صاروخ وقع على نهاريا في يوم واحد الواقع في 29 تموز - يوليو) مقاتلو حزب الله ما زالوا حتى الآن منتشرين في القرى والبلدات اللبنانيّة المحاذية للحدود والمدرّعات تُرسل لتدمير التحصينات، مدعومة بالإستراتيجيّة الجويّة التي بدت في 30 تموز - يوليو أنها غير منتجة، ومسبّبة لإحباط أكيد في الدبلوماسيّة الإسرائيليّة الأميركيّة.

وصلت أخبار المأساة المروعة للقصف الجوّي على قانا إلى كوندوليزا رايس في الوقت الذي كانت تتواجد فيه في إسرائيل، متوجهّة للقاء عمير بيريتز وزير الدفاع الإسرائيلي من أجل إعداد وتحضير مشروع قرار تتبناه الولايات المتحدة يُوم الأربعاء في 2 آب - أغسطس لعرضه على مجلس الأمن الدولي وهي مضطرّة، أي رايس، أن تقوم برحلة إلى بيروت بغية عرضه على الحكومة اللبنانيّة برئاسة فؤاد السنيورة ونيل موافقته. مأساة قانا أعاقت حركتها الدبلوماسيّة، بسبب إلغاء الحكومة اللبنانيّة زيارتها واستقبالها على خلفية تداعيات تلك المجزرة. بالنسبة لرئيس الوزراء اللبناني فؤاد السنيورة، لم تعد المسألة قضيّة مفاوضات مع الولايات المتحدة طالما لم يتمّ وقف

إطلاق نار فوري معلن من إسرائيل. مشهد النسوة والأطفال الذين يقتلون بأبشع الصور لا يحتمل، مما اضطرّ وزيرة الخارجيّة الأميركية ان تعقد مؤتمراً صحافياً في 30 تموز ـ يوليو بعد الظهر في القدس، بدت فيه منزعجة وصرحت: «نعمل جاهدين وبقوّة لوضع حدّ لهذه الوحشيّة والعنف ولكن علينا أن نعترف أن الطريق صعبة جداً». بقيت هناك لليوم التالي وغادرت بعدها إلى واشنطن بسبب إلغاء زيارتها إلى لبنان مرغمة فهناك ـ أي واشنطن ـ ستعمل على مشروع القرار الذي يجب أن يشمل المراحل التالية: إرسال قوّة دوليّة إلى جنوب لبنان، يتبعها وقف إطلاق نار مرفق باتفاق سياسي ينص على نشر الجيش اللبناني على الحدود مع اسرائيل.

لكن مشروعها، وهي المسؤولة عن الدبلوماسيّة الخارجيّة للولايات المتحدة، سيواجه بمشروع قرار فرنسي مختلف جداً. فالنقاط المقترحة التسلسليّة من فرنسا هي: أوّلاً وقف إطلاق النار، وبعدها الحصول على اتفاق سياسي داخلي لبناني يقضي بنشر الجيش اللبناني على الحدود مع إسرائيل، وأخيراً إرسال قوّات دولية لمراقبة اقتراح الاتفاق على الأرض.

توقف القصف العنيف والفوضوي من القوات الجويّة الإسرائيليّة عزز لا إرادياً موقف فرنسا في نظر الرأي العام العالمي أجمع. فاضطرّت رايس أن تتقرّب عندها من فرنسا لثلاثة أسباب:

ـ الأوّل: اعتبارها ان الاهم ان تتشارك وفرنسا نفس الهدف وتحديداً نزع سلاح حزب الله وعودة السيادة اللبنانيّة على كامل الأراضي.

ـ الثاني: ان الولايات المتحدة والتي ليس بنيّتها إرسال أي جندي ضمن قوّات اليونيفيل على الأرض لا يمكن أن تملي إر ر ادتها ولو بلياقة على فرنسا وهي الجاهزة لهذه المهمّة لتبني موقف وسط في مجلس الأمن الدولي.

ـ الثالث: عدم تكرار ما حصل يوم 5 شباط ـ فبراير 2003 اليوم المشهود لغزو العراق والذي أثار خلاف فرنسي أميركي لذلك فقد كانت تتحاشى تكرار مثل هذا الموقف.

ولكن حتى نهاية شهر تموز ـ يوليو، لم تكن الحكومة الإسرائيليّة جاهزة بعد «لوقف إطلاق نار فوري» معتبرةً ان هذا السلاح الدبلوماسي الوحيد الذي بحوزتها، فمنح اليوم وقف إطلاق نار سوف يسمح لحزب الله بإكمال مخططه في اللعبة. بالنسبة للسلطات الإسرائيليّة ستستغلّ الحركة الاسلاميّة الشيعية الهدنة لإعادة التسلّح والانتشار على الحدود وتعطيل المفاوضات السياسيّة مع الحكومة اللبنانيّة. حاولت قيادة الأركان الإسرائيليّة تبرير هذا القصف الجوّي لبلدة قانا انه «في 30 تموز ـ يوليو بعد الظهر، سقط مئة وخمسون قذيفة صاروخيّة أطلقها حزب الله من تلك البلدة

وكذلك في الأيام السابقة ولعدّة مرات، ولقد أنذرنا السكان المدنيين بإخلائها» وتابع الجنرال إيدو نيهوشتون المسؤول عن العمليات الاستراتيجيّة في رئاسة الأركان «حزب الله يستعمل منهجياً المباني السكنية وينصب بينها قواعد الصواريخ، هؤلاء الارهابيين يختبئون وراء شعبهم المدني لقصف شعبنا» واسترسل وهو جالس في مكتبه حيث نرى تل ابيب، موحياً لي ان إدارة العمليات تدار من هذه الصالة للاجتماعات.

فمنذ سنة تتمركز قيادة أركان لواء تساحال قوات الدفاع الاسرائيلي في ناطحة السحاب الرائعة الحديثة في وسط المدينة الاقتصاديّة للدولة اليهودية، ولو لم نلتق دوماً بنساء يقومون بواجبهم العسكري لستين وضباط يرتدون زيّهم البني الفاتح أو الزيتي لاعتقدنا أنفسنا في مركز اجتماعي لشركة تويوتا في طوكيو بسبب شكل المبنى الفخم جداً.

يعتبر الجنرال (نيهوشتون) وهو مدرّب في القوات الجوية لطائرات F16 ان الحرب الجويّة سوف تبلغ مداها الأقصى قريباً وتنجز مهمتها. لا نتمنى الاجتياح والاحتفاظ بجنوب لبنان بقواتنا البرية، لأننا سوف ندان من المجموعة الدولية على أساس اننا قوّة احتلال، بالتوازي لا يمكننا السماح لحزب الله ان يشلّ الحياة الاقتصاديّة في منطقتنا

الشمالية. برهن السلاح الجوي عن مرونته: لقد سمح لنا أن ندمر عدداً كبيراً من المواقع التي تطلق منها الصواريخ. لقد اعتدي علينا ولسنا سعداء بدخول الحرب. ان فرض قيام نظام مراقبة دولية يمنع حزب الله من التسلّح بالصواريخ من سوريا يناسبنا تماماً.

الفصل الثاني عشر

الاحتياط الإسرائيلي بقلب مثقل بالألم وغياب الضمير

في 8 تموز - يوليو 2006 قام «ران كارميلي» البالغ من العمر ثلاثة وثلاثون عاماً برحلة شهر العسل إلى الدولوميت الواعدة بالبهجة. لقد أقام في فندق جميل في المنطقة النمساويّة في ايطاليا ولم يتصور للحظة انه سيضطر للعيش بقساوة والنوم في ظلّ خيمة حارقة موجودة في منطقة يغلّفها الغبار في أقصى شمال وطنه. بداية حياة جديدة قاسية، لهذا الصحافي في المجال الاقتصادي لجريدة «هآرتس»، فما ان وضع أغراضه بعد عودته إلى إسرائيل من إيطاليا رن جرس الهاتف، انه اتصال تعبئة طارىء في 30 تموز - يوليو توجّه إلى نقطة التجمع في ثانوية حي هود هاشارون ومن هناك نقلته حافلة نحو الشمال. ولكن لماذا يستدعى احتياطي مثل كارملي والذي أنهى خدمته

العسكرية منذ حوالي إثني عشر سنة هو وباقي مجنّدين لعمليات عسكرية لا تحمل صفات الحرب الحقيقية مثل حرب الغفران؟

«عندنا التجنيد لا يحصل على أساس السن بل الخدمة حسب الحاجات. مهمتي العسكرية اني مراسل قررت هيئة الأركان وبوضوح حاجتنا لي عند قيامها بهجماتها المدرّعة في جنوب لبنان ولدعم مجال الارسال الاعلامي»، شرح لي «ران» متابعاً بأن «احتمال عدم التمكّن من الاستحمام لفترة أيام أمر لا يفرحه أبداً». مثل كلّ الاسرائيليين قام «ران» بخدمته العسكريّة منذ ثلاث سنوات عندما بلغ الثامنة عشر من العمر، بعدها كلّ سنة يعود لفترات من التعبئة والتمرين من أسبوع حتى ثلاثة، كي لا يبتعد عن الأجواء وليطلع على أحدث الطرق الاعلاميّة. في إسرائيل جيش حقيقي بل هو بلد، كلّ مواطنيه جيش قادر وداعم. ببساطة هناك مواطنين يفضّلون البقاء في ظلّ العلم، يقضون حياتهم في مهماتهم في التعاقد العسكري المتواصل المعروض عليهم. الشاب الذي يتمنى أن يصبح ملازماً عليه أن يقوم بخدمة عسكريّة لا تقلّ عن أربع سنوات وبعد ذلك بمرور الفترة يمكن لأركان الجيش أن تعرض عليه البقاء بضعة سنوات أخرى برتبة نقيب، وكقائد موقع وهكذا دواليك.

الجنرال اريال شارون نفسه كان في الاحتياط عندما انطلقت حرب الغفران ولكن بالنظر لخدماته الداخلية عهدت

إليه حينها قيادة الأركان، تولّي لواء فرقة عسكرية مدرّعة والتي معنا نجح في الاختراق الشهير في سيناء، تبعها اجتياز قناة السويس، وتطويق الفرقة الثالثة المصرية.

توجّه «ران كارميلي» إلى الحرب بقلب مثقل بالألم، لأنه يرى منذ الآن العواقب الانسانيّة لهذه الحرب كالأبرياء الذين سقطوا في قانا، وغياب الضمير والأخلاق، لأنه في بعض الأحيان «يجب مواجهة عدوان حزب الله الذي لا يعترف بحق وجود اسرائيل، ويعتدي بدون أيّ استفزاز على أرضنا على حد قوله».

رغم ذلك «ران» من أعضاء ما يسمى في إسرائيل منظّمة للسلام. لقد وقّع على وثيقة «يش غفول» التي تدعو المجنّدين إلى رفض الخدمة في الأراضي المحتلّة، فإذا ما جنّد للقتال في نابلس أو الجليل (مدن الضفة الغربيّة المحتلّة من إسرائيل بعد حرب 1967) فإنه لن يستجيب «سأرفض نداء التجنيد، هذا لاني اعتبر تجاهلنا طويلاً الحقوق الفلسطينية، وتصرّفنا كالأسياد عليهم، وبالإضافة إلى ان سياسة إسرائيل الاحتلاليّة لا تتوافق مع مصالحنا على المدى البعيد والطويل ولا للعدالة بوجه عام» أكمل ران كارميلي «هناك فرق كبير بين الفلسطينيين وحزب الله، الفلسطينيون دافعهم محق رغم انهم يستعملون وسائل ظالمة، أما حزب الله لا يستعمل سوى منهجيّة غير مبرّرة مثل إطلاق

الصواريخ على سكاننا المدنيين للدفاع عن أهداف غير محقّة وهي المصالح الايرانيّة في المنطقة».

لم يكن أمام الجيش في نهاية تموز - يوليو وبموافقة أغلبيّة الشعب الإسرائيلي إلاّ العمل على التخلّص من حزب الله الجاثم على الحدود في الشمال وذلك عن طريق الدعوة للتعبئة العسكريّة.

«أيرين» والبالغ اثنتي وعشرين عاماً هو أفضل نادل لمطعم رافايل المشرف على شاطىء تل أبيب يجمع مصروفه ليقوم بجولة حول العالم قبل أن ينهي دراساته العليا. لقد أمضى ثلاث سنوات في لواء المظليين وفاءً لصديق للعائلة هو نفسه كان مظلياً قتل في جنوب لبنان عام 1990 وبين جرعتين من الكحول سألته إذا ما كان خائفاً من وجوب ذهابه إلى الجبهة فأجابني: لا تسأل أ. أ فعند أول طلقة، اترك البار، أحمل درعي، وأنضم إلى رفاقي المقاتلين في «بنت جبيل»، قال وهو يبتسم لزبائنه.

الفصل الثالث عشر

الانتصار ينتظر

بتاريخ 2 آب - أغسطس 2006 يخيّل إليّ ان وتيرة الحرب سوف تتصاعد، و لم نكن أكثر بعداً عن وقف إطلاق نار مثل اليوم. أكثر من خمس فرق مدرّعة دخلت إلى جنوب لبنان وبما ا المعارك تدور في بلدات غير بعيدة من الحدود، (تبعد من ثلاثة إلى سبعة كيلومترات عن مرمى النظر) فالغارات لا تنفذ إلاّ بمواكبة السرايا القتاليّة. كلّ اللوجستيات والبنية القياديّة للعسكر قضت بإبقائها وراء الحدود الاسرائيليّة. يذهب الجنود للمعركة في الصباح، ليعودوا في المساء متعبين جاهزين دائماً لإطلاق النار عند الفجر. قامت جرافات الهندسة الإسرائيليّة بشقّ أربع طرق للتوغّل انطلاقاً من الحدود نحو الأ راضي اللبنانيّة، فالقائد يفضّل عدم استعمال الطرق الرئيسيّة لأن حزب الله قد لغمها. لكن رغم توسيع الهجمات البريّة

الإسرائيليّة وعودة القصف الجوّي المتوقف منذ ثمانية وأربعين ساعة بعد مأساة قانا، لم تتمكّن إسرائيل من تدمير قدرة حزب الله، مثل إطلاق الصواريخ تجاه شمال اسرائيل، أكثر من مئة وثمانين قذيفة من كلّ الأنواع سقطت في يوم واحد في 12 آب ـ أغسطس. إحدى هذه القذائف أصابت حاخاماً اسرائيلياً فقتلته في شمال مدينة نهاريا، وأخرى سقطت في الضفة الغربيّة بعد أن قطعت مسافة سبعين كيلومتراً.

يبدو ان الحرب ستطول كثيراً. «اسرائيل لن توقف المعركة إلاّ في اليوم الذي تنتشر فيه قوات دوليّة في جنوب لبنان» صرح رئيس الوزراء الإسرائيلي ايهود اولمرت: «الخطأ هو في انتشار دولي استعراضي، حزب الله سيعاود تمركزه عند حدودنا، وتكون حربنا قد ذهبت سدى». أضاف في لقاء صحافي مع وكاله أسوشيتد برس موجّه إلى الرأي العام العالمي والمحلّي والعربي: «فليفهموا إسرائيل لا تخشى الحرب والقتال، ليس باستطاعة أحد أن يرعب إسرائيل فزمن البزار الشرقي لتبادل الأسرى ولّى. إسرائيل مصمّمة على تحقيق أهدافها وهي ملتزمة بالقرارات الدوليّة للأمم المتحدة وتوجّهات القمّة الأخيرة للدول الثمانية والتي تنصّ على نزع سلاح حزب الله ومراقبة الحدود اللبنانيّة وانتشار الجيش اللبناني النظامي والعودة الغير مشروطة للجنديين المختطفين».

وتنفيذاً للخطة ولسير الأحداث الذي وضعته إسرائيل برفض إرعابها، ونفذ لواء الساحال ليلة الثلاثاء الأربعاء من 1 إلى 2 آ أغسطس إنزالاً جوياً بالطوافات على المدينة اللبنانيّة بعلبك والبعيدة أكثر من مئة كيلومتر عن الحدود الإسرائيليّة وعشرة كيلومترات عن الحدود السوريّة. وهي منذ ربع قرن بعلبك منطقة نفوذ كبيرة لحزب الله. أنزلت فرقة الكومندس في سبيل غير بعيد عن مستشفى خاصة يستعملها بنظرهم حزب الله كمركز استخبارات ولوجستي أيضاً. خلال المعارك التي دارت في داخل المستشفى وفي محطة وقود قريبة لها قتل عشرة مسلّحين لحزب الله ولم يعثر الاسرائيليون على القائد المركزي المحلّي للمقاتلين والذين أتوا لخطفه، وبدون تلقّي من جانبهم أيّ إصابات عادوا أد د راجهم مع خمسة أسرى من الصف الثاني.

دعيت إلى هيئة الأركان (المتخذ كمركز رئيسي في قاطرة ضخمة في عمق تل أبيب) لعرض الصور التي التقطوها من الأجهزة اللاسلكية المتصلة بكاميرا صغيرة أثناء ذلك الانزال. كلّ الأسرّة في المستشفى فارغة لا وجود لأي مريض لكن هناك ترسانة من الأسلحة مخبأة في كلّ مكان، في الخزانات، بالمقابل عندما طلبت منهم تحديد التعليمات والمعلومات عن الأسرى المنقولين إلى إسرائيل حول هويتهم وطبيعة عملهم تجنّب

دة الجوا وفي نهاية شهر آب ـ أغسطس أخلت إسرائيل سبيل هؤلاء الرجال دون أيّ توضيح.

هذا الانزال الناجح تكتيكياً واستراتيجياً غير نافع (لم يجلب غنيمة مباشرة) يدلّ لأي مدى يحاول الجيش الإسرائيلي تحقيق نصر ما، وبعد ثلاثة أسابيع من بدا العدوان، فإن أي انتصار عسكري يمكن أن يستغلّه كوسيلة ضغط، وهو الأمر الذي يخشى قادة هيئة الأركان الاعتراف به هذا لأنهم لم يتمكّنوا من اختراق أجهزة المخابرات لحزب الله، وفهمت فيها أن الجيش الإسرائيلي انخرط بدون بصيرة في حرب مع عدو لا يعرفه جيداً.

الفصل الرابع عشر

أمّة في حرب

يوم تتعرض إسرائيل للاعتداءات من عدوّ خارجي، لا يقر بأحقية وجودها على الخارطة، فهي تدخل الحرب ليس فقط بالقوّات العسكريّة المولجة بالمهمّة، بل أيضاً الأمّة كلّها في حرب وهي تتجند بحماسة واندفاع. هذا الجهد المستمر حيث كلّ فرد يتشوّق للمشاركة في المكان الذي يشغله استثنائياً.

في هذا النهار يوم الخميس الثالث من آ ـ أغسطس 2006 لدى عودتي إلى شمال البلاد، في شوارع المدينة الحدوديّة نهاريا والمستهدفة بدون توقّف بالقذائف والكاتيوشا علق السكان في كلّ مكان وزاوية بيارق صغيرة زرقاء توسّطها نجمة داوود كما لو انهم يريدون الاظهار انه في الشدّة يشعرون بأنهم اسرائيليون أكثر من أي وقت. عند دخولي إلى المستشفى حيث نسمع الصواريخ التي تسقط في

كلّ مكان وحولها لا يكف وصول القتلى والمرضى والجرحى.

من بين فرق الانقاذ التي عملت للعودة بالسرعة اللازمة إلى الساحة لمدّ يد العون للضحايا والجرحى وإنقاذهم، علق ببرودة الدكتور موشي دايا جرّاح العظم ونائب مدير للمستشفى أسوأ يوم منذ بدء الحرب». لقد وصل سبعة قتلى وأربع وستون جريحاً من بينهم عشرون في حالة الخطر.

«كلّنا جاهزون للتصدّي للأحداث الأكثر خطورة». المستشفى مجهزة بسبعماية سرير. لم تنجح عمليّة إطلاق 2800 قذيفة صاروخيّة من كلّ الأنواع من قبل حزب الله ضد المناطق المدنية من إرهاب الشعب، على النقيض، فقد بدت النتائج معاكسة، فرغم انهم أصيبوا بشلل اقتصادي منذ ثلاثة أسابيع، ظهر أن المواطنين الإسرائيليين في الجليل مستعدون لتحمل حرب طويلة نوعاً ما بشرط تبديد تهديدات حزب الله الجاثمة على وطنهم. «هذه المرّة يجب أن ينتهي العمل وإلاّ فالمرّة المقبلة سيكون الوضع أسوأ بكثير»، اعترف لي الحلاق (كوبي) عند أقدام صهره الجريح في نهاريا. ويعرف تماماً جنوب لبنان بما انه خدم في موقع بنت جبيل خلال خدمته العسكرية.

يتكلّم (كوبي) اللغة العربيّة بطلاقة لأنه من أصل مغربي

ولذلك الحق بوحدة (DCO) الوحدة المكلّفة بمعالجة الأمور المعقّدة مع السكّان المدنيين: «غلطتنا الكبرى اننا انسحبنا بسرعة من لبنان في أيار - مايو عام 2000، ولا أقصد انه لم يكن علينا الرحيل ولكن لم يكن علينا الخروج بسرعة. لقد مررنا لهم رسالة عجز وضعف بدون قصد منا فاستغلّ الوضع عندئذ حزب الله».

استقرّت فرقة من المظلّيين من سلك الاحتياط في مستوطنة كيسوتن (هزة مناحيم) الجاثمة على تلّة في الجليل تبعد كيلومترين عن الحدود والتي تنتظر الأوامر للمرور إلى الجهة الأخرى. أسرّة ممدّدة تقريباً في كلّ مكان تحت شجر الصنوبر، صناديق الذخائر المكدّسة والمستعملة كطاولات للطعام، وأجهزة الراديو ترسل الموسيقى اللاتينيّة. الانطباع هو أنّ الفوضى شاملة، وفسر لي ان في أنظمة الجيش الإسرائيلي الوحيد المحترم هو نظام السلاح المهم، فصعقت للأمر.

يختلط الجميع ضباطاً ورجالاً، احتياطاً ومجنّدين، ويعيشون على قدم المساواة. بتعاون يتبادلون الصفعات على ظهورهم، يمزحون، لا يتبادلون أبداً التحيّات العسكريّة، فقط في المعركة يعود للرتب حقها. هنا يبدو ان كلّ واحد يعرف ما عليه أن يفعل، والأوامر المرسلة بالأجهزة اللاسلكيّة تنفذ فوراً ولكن فضولي دفعني أن أسأل ما هي المهمات الموكلة لهذه

الوحدة من الاحتياط، فقد بدوا غير قادرين على الشرح بوضوح، ان الأوامر تأتي من هيئة الأركان ولأوّل مرّة شعرت ان فوضى شاملة تعم هذا المخيم العسكري وكذلك تشمل التشويش على الاتصالات اللاسلكيّة.

هذا الجو المرح الذي يلف هؤلاء الشباب الذين يعرفون بعضهم من زمن بعيد، والقلق الذي ينعكس بوضوح، بانتظار المعركة. فالوحدة بينهم تعكس صورة المجتمع الاسرائيلي: هناك ارون الملازم ذو ملامح هادئة وهو قد ترك مركز عمله يوم التحق بالجبهة كمدير في مصرف اسرائيلي كبير، وكذلك زوجته الشابة حاضنة الأطفال في المبتوصف. هناك أيضاً يلي ذو الشعر الأشقر المتدلّي على كتفيه، مغني روك في النوادي الليليّة في تل ابيب. هناك سامي يعمل في برمجة الكمبيوتر ويحلم في تأسيس شركة خاصة. الكلّ يتكلّم نفس الحديث: «عندما طلب الاحتياط لم يتردد أحد في التوجّه إلى الجبهة ندخل هذه الحرب للمحافظة على وطننا وحزب الله يهزأ من المصالح الحقيقيّة للبنان. انه الذراع المسلّح لايران والذي لم يكف يوماً رئيسها عن القول مراراً وتكراراً: ائيل يجب أن تلغى من الخارطة».

الطريق الرائعة نصف سياحيّة، نصف عسكرية، والتي تصعد نحو مستوطنة «زرعيت» والمشرفة على الجبهة

والمكتسحة بآليات الميركافا، دليل على نيّة قوّات الدفاع الإسرائيلي التساحال في تكثيف هجماتها المدرعة البريّة في جنوب لبنان.

الكولونيل آفي أورتان يعمل في المجال المدني المهني أستاذ في معهد الحقوق في تل ابيب ومحامي للأعمال الخاصة للاتحادات [illegible]، هو الآن قائد للعمليات في جيش الاحتياط «لواء الإسكندروني» (الشهير بالمعارك التي قادها خلال حرب الاستقلال عام 1948) اخبرني: «لقد دخلت هذه العناصر أرض المعركة منذ خمسة أيام، يوم الخميس وثلاثة عناصر منهم قتلوا في قرية (شيحين) اللبنانية، فقد انطلقت صواريخ ساغر من عمارة سكنية» عرض قائد العمليات الجارية تحت سقف من الباطون المسلّح غرفة قيادة «زرعيت» «لقد شيّد حزب الله أربعة خطوط دفاع قتاليّة بين الحدود والليطاني، دمّرنا الأولى، ونحن في طريقنا إلى الثانية نأخذ وقتاً لأن بعض العائلات ما زالت تسكن القرى». يبدو ان القائد نفسه ليس مقتنعاً باللغة الخشبيّة المستعملة. إلى أين ستصل بمتابعة الهجمات من لواء تساحال؟ أجابني: «أنت تخطىء بالمحاور فهذا الضابط المتواضع لا يعلم شيئاً!» يقول الضابط أورتوم مقهقهاً: «شخصياً أتمنى أن تنتهي هذه الحرب بسرعة لأنه لديّ مهمات وملفات مهمّة لانهائها في تل ابيب ولكن كمواطن أظن أنه علينا

القيام بتطهير جنوب لبنان لمرّة أخيرة».

يعلم الجيش ان رئيس الوزراء يمكن ان يقرر توقّف التقدّم فجأة، يوم يطلب مجلس الأمن الدولي من الحكومة الإسرائيلية القيام بتنفيذ وقف لإطلاق النار الفوري. «هدف جيش الدفاع الإسرائيلي (التساحال) بسيط وواضح جداً وهو تطهير أكبر مساحة ممكنة عند الحدود باتجاه الليطاني، هذا الشريط من المساحة الحرّة والخالية من وجود حزب الله يشكّل منطقة آمنة ولن يغني إسرائيل عن المراقبة كما أننا لن ننسحب قبل انتشار قوّات دولية على الحدود».

زاهي، مظلي ابن سائق حافلة من صفد أمضى أسبوعاً كاملاً في بنت جبيل يروي شراسة المعارك. المنزل الشاهق الجاثم على تلّة والذي حوّلته وحدته إلى ثكنة عسكريّة تعرّض لهجوم ليلي من مقاتلي حزب الله. دار الاشتباك لمدّة ثلاث ساعات بالقذائف وجهاً لوجه وبعد ان فقدوا قتيلين وفهموا انه لا يمكنهم احتلال موقعنا، فجأة انسحبوا، بعدها سمعنا من زقاق مجاور صوت سيارتين تقلعان. «لقد حضروا بعناية لعمليتهم». في مرحلة تمشيط وتطهير الأرض والحاصلة من قرية إلى قرية تفاجأ رامي «هناك سلاح في كلّ مكان ليس فقط في المغاور في خزانات العدة والمياه والمونة، تحت أسرّة الأطفال تحت أحواض المطبخ؛ في الثكنات العسكرية

والمخابراتية لحزب الله وجدنا خرائط عسكرية لهيئة الأركان تشير إلى مواقعنا وراء الحدود وصور قيادات الوحدات العسكرية وملحقات عن أنواع الأسلحة بحوزة الجيش الإسرائيلي؛ لقد تحضروا تماماً.

الفصل الخامس عشر

القائد القديم الذي استعاد القيادة للذهاب إلى خط النار

«أهارون بيرينسون» (57 عاماً) في صالون منزله الفخم وهو من القادة العسكريين السابقين الكبار، والذي عاد طوعياً للخدمة العسكرية تحت أمرة سلاح الجو الإسرائيلي، وعلى وقع دوي صواريخ الكاتيوشا أنهى عرض عمله المنهك (أكثر من مئة ساعة طيران، وأغلبها مهمات قصف أرضي منذ 12تموز - يوليو). فجأة صرخت «نواه» زوجته! «لقد أعلن التلفزيون منذ قليل أن الكاتيوشا سقطت على مستوطنة كفرجيلادي، وقتلت سبعة أشخاص»، أهارون ونواه يتحدران من مستوطنة (صخرة الجليل)، وقد أخذت هذا الإسم بسبب اشتراكها البطولي في حرب الاستقلال عام 1948 والحروب اللاحقة حيث دُفِن أهلهم. علمنا بعد ذلك (ان عدد القتلى الإسرائيليين تخطى

الاثني عشر) وهم جنود احتياط كانوا في انتظار المرور إلى جنوب لبنان.

في صباح الاثنين في 7 آ - أغسطس، أطلقت صفارات الإنذار لبلدية «روشبينة» من شمال الجليل، تأسست هذه القرية عام 1885 في موقع يهودي قديم مهجور وذلك بعد إقامة صهاينة رومانيين في أرض اشتراها الفرنسي إدمون دو روتشيلد. معنى «روشبينة» في اليهودي حجر الزاوية وهي إشارة لقول في التوراة «الحجارة المهجورة التي يتركها المؤسسون تصبح ركن زاوية». تأقلم العدد القليل الباقي من السكان منذ بداية الحرب على الوضع الراهن. البعض ينتقل إلى الأماكن الآمنة، وآخرون قادرون يتابعون أعمالهم كما لو أن شيئاً لا يحصل. بين ثلاثين قذيفة سقطت على «روشبينة»، واحدة فقط انفجرت في وسط القرية في حديقة منزل صغيرة ولم يسقط ضحايا، حيث كان هناك ثلاثة أولاد، لكن أهلهم أخذوا احتياطهم وأدخلوهم في مكان آمن قبل ان يذهبوا إلى السوّق.

بعد خمس عشرة دقيقة، غطت الطوافات سماء مستوطنة «روشبينة»، والطيار الذي يحفظ عن غيب جبهة الجليل كما يحفظ جيب سترته، رفع عيناه إلى السماء مترنحاً: «غريبة هذه الطوافات من طائرات الأباتشي فهي مخصصة للقتال على مسرح

عمليات غربي، يبدو أنه حصل شيء ما، علينا القيام بإجلاء القتلى والجرحى أولاً» قال أهارون الذي لم يكن يتصور أن هذا الأحد في 6 آب ـ أغسطس سيصبح في إسرائيل اليوم الأكثر دموية منذ بداية الحرب.

في اليوم السابق كانت المرّة الأولى التي التقي فيها أهارون كنت أسير على طريق قاحلة تصعد نحو قلعة صفد وهو يحلّق في الجوّ، القرية تحت النار ولهيب النار الحارق يقترب من العمارات، والخطر يهدّد المقرّ الرئيسي لجبهة الشمال في الجليل. اقتربت طائرة صغيرة صفراء نحو تضاريس التلال الجليّة المشتعلة لرشها بسائل أحمر. المشهد من الأرض يبدو كرقصة باليه جويّة خياليّة مع الدخان الذي يغلّف التلال ومنظر الطائرة وهي تقترب من موقع الحريق.

عندما سألت صديقي الرسام جيم سيلفرمان إذا ما كان يعرف القاعدة التي انطلقت منها الطائرة أجابني: «سيأتي من روشبينة يجب أن يكون الطيار بيرينسون عمدتها السابق. عندما كان شاباً، كان طياراً في الوحدات الجوية». في المرّة الأخيرة التي حلّق فيها أهارون بطائرة سكايهوك في عام 1987، يوم كان في الاحتياط. انه جندي قديم في حرب الغفران ويزال يذكر اليوم الأوّل الكارثي ضدّ أرتال الدبابات السورية والتي أجبرت قوات الدفاع الإسرائيلي تساحال والتي دخلت إلى هضبة

الجولان على التراجع. «لقد أُخذنا بعامل المفاجأة كلّ شيء كان مشوّشاً لقد أطلقوا النار على طائرتي التي أصيبت بصاروخ أرض جو «SAM» في مهمتي الجويّة الأولى، فقد كان علي ان أحط على الأرض بطريقة كارثية، ولقد استعنت بطائرة أخرى، لكننا جوبهنا بصواريخ أرض-جو والتي منحها الاتحاد السوفياتي للسوريين والمصريين».

شارك أهارون أيضاً في أجمل نصر جوي للمعركة الجويّة التي حصلت في 18 تشرين الأول - أكتوبر 1973، وذلك عبر الهجوم الجوّي المفاجيء والناجح الذي قام به سلاح الجو الإسرائيلي ضد بطاريات الصواريخ المصرية المضادة للطائرات وذلك بعد تعطيل أجهزة الرادار لدى العدو بتقنيات حديثة مما أدى إلى استعادة التفوق الجوّي الإسرائيلي في ميدان حرب الغفران 1973 بعد أن كان فقده بداية الحرب. لماذا قرّر هذا الرجل الأب لستة أولاد والجد لخمسة أحفاد الحائز على جائزة إدارة عامة من جامعة هارفرد العودة من أجل الخدمة على متن طائرة عسكرية؟

«القتال هو أفضل وسيلة اليوم لخدمة بلادي. عندما تشاهد إسرائيل على علو ثلاثين ألف قدم تبدو لك البلاد بقعة خضراء كبيرة محاطة بالصحاري. أنتمي إلى عائلة قديمة من مستوطنة صهيونيّة قروية آتية من ليتوانيا قبل الهولوكوست. فخرنا أننا جعلنا من هذه الأرض واحة خضراء ولن يستطيع

حزب الله ان يحرقها». اعترف لي أهارون بعبارات حارة ليعبّر عن عرفانه بالجميل للمجتمع الفرنسي الذي سارع إلى إرسال السائل المضاد للحريق «بوجيما» بعد فقدانه من أسواق إسرائيل للمساعدة على إخماد الحرائق بواسطة إحدى الآلات الخاصة والحديثة التي وصلت بصورة طارئة إلى البلاد.

الفصل السادس عشر

مع الغولاني في بلاد حزب الله

انا في 8 آب ـ أغسطس 2006 والشمس تشرف على المغيب على تلال البلدة اللبنانية عيترون المحاطة في البعيد بالتلال والجرود الحمراء لجبل حرمون. جندي شاب ذو شعر أسود مجعد وبشرة سمراء ونزيّة من أصل يمني معتمراً قبّعة عسكرية ومرتدياً درعاً واقياً من الرصاص يتمتم صلاة من كتاب باللغة العبرية. هذه الصلاة خاصة لفترة بعد الظهر. فجأة حركة خفيّة على أثرها يصاب هذا الشاب وهو من هذه الفرقة الخاصة (غولاني) والتي تأسّست منذ حرب الاستقلال عام 1948، علت جلبة وقام الجميع بمغادرة مدرّعاتهم الثقيلة، والتي كانت قد وُزّعت بشكل دائرة عندما حلّ المساء. أغلبية هؤلاء الشباب يبلغون تسعة عشر أو عشرون عاماً، ليسوا من اليهود المتديّنين لكن هذه الليلة يودون مشاركة رفيقهم بالصلاة. مشكّلين

بسرعة مدرج إنساني محاطاً بالمدرّعات لمركبات مصفحة لحمايته مدعومة بالرشاشات التي يتحكّم بها من الداخل.

يردد الغولاني بصوت مرتفع الفرض الديني وبغياب اريك (22 عاماً) ضابط الكتيبة الذي ذهب إلى مبنى في القرية اللبنانية للمشاركة في اجتماع تنسيق للعمليات العسكريّة برئاسة رائد كتيبة (أكبر سناً من اريك وهو بعمر تسعة وعشرين عاماً). احتراماً للأوامر العسكريّة على الجنود تغطية رؤوسهم، البعض اعتمر الخوذات الثقيلة، آخرون قبعات صوفية، وضع أحد هؤلاء الشباب يديه على رأس رفيقه المكشوفة كلياً. ذقون مرخية لم تحلق منذ خمسة أيام وبدون ترتيب.

لا أحد يهتم لصدى الانفجارات حولهم: أكان إطلاق دبابات الميركافا لقذائفها أم صدى أصوات قذائف الهاون الساقطة في حقول التبغ المجاورة والمصوبة من حزب الله من محيط بلدة بنت جبيل والتي تطل سطوح أبنيتها في الأعالي؛ طنين وصفير الكاتيوشا الطائرة في السماء نحو مستوطنة «المالكيّة» المتكئة على الحدود الإسرائيليّة اللبنانيّة. عندما تراجعت عشرة أمتار عن غبار هذا المستودع الحربي لمشاهدة قوّة شكيمة هذه المجموعة العسكريّة وصلابتها، دهشت من تنوّع النماذج الانسانيّة فيها، فهناك الأوكراني ذو الشعر الأشقر والتركي الشرقي ذو الشعر الناعم يجاور المغربي بالشعر الجعد.

في الفصيلة، مستوى اللغة الانكليزيّة علامة فارقة لأصولهم الاجتماعيّة. الاوكرانيون من الأصول البرجوازيّة لتل ابيب يتقنونها أكثر من الشرقيين الأصليين المولودين في الأحياء الشعبية لحيفا أو لقرى شمال الجليل. ولكن في مواجهة المخاطر الجسيمة والأهوال المحدقة بهم، يقاتل هؤلاء الشباب تحت نفس

أي تمييز يتقاسمون كلّ شيء بينهم؛ السجائر، أوعية تنظيف والتطهير، علب التون، موسيقى ال Mp3 المزحات على أجهزة التلفون النقالة الكاذ. التي أبلغوا بها أمهاتهم لطمأنتهن بالقول بأنهم ما زالوا داخل الأراضي الإسرائيليّة ولم يدخلوا إلى داخل الأراضي اللبنانية.

الموت المفاجئ، في المعركة لا يميّز بين الأغنياء أو الفقراء، أوكرانيين أوروبيين أو شرقيين، المثقّفين والمهنيين. (انها مهمّة كلّ الأمّة).

آخر دراسة للمجتمع الإسرائيلي أظهرت أنه منذ العام 1950 تعد الكيبوتزات الإشتراكية هي المثل الأعلى بل أصبحت أقلية متطرفة، لذلك فقد أصبح الجيش هو المكان المثالي لحضور هذا المزيج من الأعراق وتطوّره و صهره في البوتقة الإجتماعية للشعب اليهودي، هذا ما يجمع الثلاثين شاباً في هذه السرية لغولاني، انه الخيار الذي أخذوه في عمر الثمانية عشر بعد إتمام خدمة عسكرية إلزامية.

يصل الملازم مع التعليمات بأخبار سيّئة. أربعة عسكريين من الفرقة قتلوا في بنت جبيل في عملية تمشيط ورأينا طوّافة تعيد جثثهم عند الحدود بمستوى سطح الأرض في الأودية لتفادي الصواريخ المحمولة أرض ـ جو، والتي تتعبها حركة حزب الله الشيعيّة: «حزب الله كالأفاعي يتسلّلون من بين الأيادي، يختبئون في الحفر والخنادق لمدّة ثلاثة أيام، ويهاجمونك من الخلف في الوقت الذي لا تنتظره».

شرح لي الملازم والذي كان سيسرح في الأيام القليلة القادمة بعد أربعة أشهر، من خدمة عسكرية قضاها مدّة خمس سنوات، الوسائل الثقيلة لهذا الهجوم الإسرائيلي الموكّل في جنوب لبنان والذي توغّلت معهم فيه إلى الداخل (بخوذة، وسترة مضادة للرصاص، ولكن مع قلمي ومفكّرتي كبندقية مجهّزة) لم تبد لي أبداً أن هذه الحرب متاسقة ومتكيّفة مع أسلوب حرب العصابات الذي يعتمده حزب الله.

كثافة النيران للكتيبة هائلة (72 قذيفة من عيار 105 ملم منطلقة من كل آلية من آ[illegible] الميركافا تساند المدفعيّة التي تطلق القذائف من عيار 155 ملم بمسافة كبيرة مركّزة من الخلف، مع مساندة جوية كلّ ربع ساعة بطلعات جويّة وقصف من طائرات F16 هائل). لكن المشكلة تبقى هي ذاتها وإلى أيّ ناحية توجّه النار؟ فحزب الله نجح في حفر الخنادق والسراديب

في كلّ مكان، ومثّل المرتبة الأولى في التخفي، ونجح في إعاقة تقدّم لواء التساحال بهدف أوّلي، محاولاً إيقاع أكبر عدد من الخسائر البشريّة في صفوف المجنّدين الإسرائيليين.

الحركة شبه مشلولة في هذه البلدة اللبنانية الفاصلة «عيترون» حيث نرصد كلّ حركة مشبوهة على مسافة تتعدّى الكيلومتر، تلقّت المدرّعات تعليمات بعدم التحرّك سوى بالظلمة: «انهم أقوى بكثير مما تعتقدون، هؤلاء الارهابيون» شرح لي الملازم أريك: «بواسطة هذه الصواريخ المرسلة من إيران (الصواريخ المضادّة للمدرّعات المرسلة من الولايات المتحدة أيام حكم شاه إيران) يمكن لمقاتلي حزب الله أن يوقفوا الدبابات على مسافة أربعة كيلومترات». آلية واحدة تنحرف في هوّة، تتوقّف فيها عملية التقدّم، غير مسموح تركها وسط البلدة، فعلينا الإلتفاف حولها لتأمين الحماية لها لحين وصول آليات الشحن من وراء الحدود لقطرها وحينها تسقط الخطة الأساسيّة لهذه المهمّة، وهي تهدف إلى تطويق البلدة اللبنانيّة بنت جبيل ليلاً، البلدة المتمرّدة وذلك بانتشار المدرّعات فيها على أمل أن تُخرج أصوات المجنزرات مقاتلي حزب الله من مخابئهم وبعدها يطلق عليهم النار المشاة المجهّزون ببنادق مزوّدة بنظام رؤية ليليّة.

على مدى يومين لم تتوقّف فرقة التساحال عن دكّ بنت

جبيل أمام نظري دون التقدّم كيلومتر واحد. ولم تنجح إسرائيل بتأمين شريط آمن كامل حول المنطقة الحدودية من ستة كيلومترات عرض، ولا تمنع صواريخ الكاتيوشا من الإنطلاق. فجأة تهيّأ لي ان إسرائيل تركض وراء ذبابة مع مطرقة كبيرة.

على تلّة من عيترون مبنى شاهق يختبىء فيه وحدة مجهّزة تماماً لحرب العصابات انها (كتيبة سيف) من الدروز الاسرائيليين، وهي ديانة أقلية في الشرق الأوسط غير وثنية منطلقة من الإسلام والمسيحيّة، وانتشر الدروز على الأراضي الإسرائيليّة اللبنانيّة والسوريّة. جنود بواسل اتخذوا خيارهم منذ نصف قرن، مؤمنين بعدالة الخدمة العسكرية في مختلف الدول المتواجدين فيها.

عند الإستراحة فيما بينهم يتبادل دروز (فرقة السيف)، الكلام بالعربيّة، أما في المعركة على الأرض، على الأجهزة اللاسلكيّة لا يتكلّمون إلاّ بالعبريّة. شرح لنا كمال القائد: «لا يمكننا تدمير حزب الله إلاّ بالمواجهة رجل برجل. في مارون الراس، استطاعت الفرقة قتل مسلحين من حزب الله الإسلامي عند خلع باب أحد الأقبية المهجورة وأطلقنا النار عشوائياً داخله».

الفصل السابع عشر

المشاعر الملتبسة والضائعة لعرب إسرائيل في الجليل

تتصل بحيرة طبريّا مباشرة بساحة سان جاندارك شارع الوطني 85 الذي يتعرج من الشرق إلى الغرب عبر تلال الجليل في الشمال مباشرة بعد اجتياز مدينة الكرمل، وعند تقاطع الطرق تبدو قرية دير الأسعد وهي قرية كبيرة متكئة على تلال متفرّعة وقممها ظاهرة للعيّان في الجبل العالي، فعندما اخترقنا عند المغيب هذه القرية العربيّة الإسرائيليّة، بدا لي أننا ندخل في عالم آخر، كما لو أنني غادرت إسرائيل الحديثة التي تشبه كاليفورنيا، لأجد نفسي فجأة في إحدى ضواحي القاهرة، لا حضارة مدنيّة، لا أضواء حمراء وإشارات، لا أرصفة، أغلبيّة النساء محجّبات (الله أكبر) يصدح من مئذنة كهربائيّة والتي تدعو إلى صلاة ليليّة، جمع من الناس الصامتين اخترقوا

الطرقات المتعرجة يجتمعون حول مبنى مطلي بالسواد بنوافذ مشلّعة، مثقوبة بالشظايا، فقد سقطت في 11 آ - أغسطس في الصباح قذيفة صاروخيّة أطلقها حزب الله من جنوب لبنان. اخترقت القذيفة المبنى المتواضع من الطابق الأوّل حيث انفجرت، فأصابت أمّ شابة لعائلة مع ولديها وحماتها، فقتلت الشظايا مباشرة مريم فتح الله وولدها وليد البالغ من العمر ثلاث سنوات، شقيقة وليد فتيّة أصيبت بجروح خطيرة وكذلك الجدّة التي فقدت ذراعيها من جراء الانفجار. الوالد أحمد الميكانيكي لم يكن هنا، انه يعمل في مرآ - أغسطس، المدرّسة تواجدت في المنزل بسبب العطلة المدرسية الصيفيّة: «انها عائلة جدّ محترمة في القرية». قال لي أحد الجيران وعيناه مغرورقتان بالدموع. لقد أنهت دراستها الجامعيّة في حيفا.

رسخ لديّ انطباع ان البلدة بأجمعها (عشرة آلاف مسلم وألفي مسيحي) جاؤوا لتقديم واجب العزاء للعائلة. مكبرات الأصوات الجاثمة على سطح إحدى السيارات تذيع خطاب باللغة العربية: «انه المختار الذي يفسر للجموع ظروف هذه المأساة قبل أن يعين الطريق التي سيسلكها الموكب إلى المدفن». في الديانة الإسلاميّة تتم مراسم التشييع في اليوم ذاته للوفاة إذا أمكن. حول المبنى الغارق بالموت والحزن، الرجال يعبرون عن سخطهم وغضبهم في وجهي أنا الصحافي الفرنسي

الذي وصل مباشرة: «كلّ هذا غلطة بوش وبلير». زمجر رجل غاضب بالأربعين من العمر ويتمتع بجسد رياضي، والذي رفض إعطاء اسمه: «حزب الله لا يفتّش سوى عن استعادة أسراه المتعفّنين في سجون اسرائيل!» معطياً بذلك ذريعة لحزب الله ومبرراً لهجومه في 12 تموز - يوليو. لكن أليس من حق إسرائيل ان تردّ على هذا العدوان؟ «اننا ضحايا مثل كرة ثلج»، عبّر بلطف رجل أصغر سناً، «نحن العرب الآخرين لا نتمنى هنا سوى شيء واحد العيش بسلام لمرّة أخيرة».

أدخلني أحد جيران البيت المستهدف إلى منزله ليريني الأضرار الجانبيّة التي تعرّضت لها شقته. يدعى محمد وهو نجّار، غرفة أولاده الثلاثة ونوافذها محطمة وهي تطلّ على جهة خطرة! لقد نجوا من الموت لأنهم في هذا الوقت من اليوم صادف وجودهم في قاعة الجلوس يأكلون الحلوى ويشاهدون البرامج التلفزيونيّة بشاشة عملاقة آخر موضة. بعيداً عن الجموع يجرؤ محمد بالاعتراف بأنه لا يحب حزب الله، والذي منذ أربعة أسابيع أصبح بطل الشوارع العربية. ان ما يقوم به نصرالله وأولمرت الآن لن يفيد أحداً. يريد الواحد منهم أ يظهر شراسته، لكن الأبرياء من المدنيين هم الذين يموتون في كلّ مكان في لبنان كما في اسرائيل».

إن محاورة اليهود وطلب آرائهم في شوارع تل ابيب يعني

الحصول على مختلف الآراء لجميع شرائح المجتمع. أما في دير الاسعد وهي بلدة صغيرة عربيّة شبيهة بقرى الشرق الأوسط، رأي الشارع كما يريده الناس يجب أن يجسّد «شهادة شرف بإظهار رأي موحّد خصوصاً ضد الغريب الذي يتطفّل». ذهنيّة تناقض الآراء لا تظهر سوى في المحادثات السرية المتبادلة في زوايا المنازل بعيداً عن الجموع الغاضبة.

العرب من الجنسيّة الاسرائيليّة هم الآن بحدود المليون نسمة يتحدّرون من المئتي ألف فلسطيني الذين لم يهجروا بيوتهم كما فعل أولئك الذين ذهبوا للالتجاء مدّة خمسة عشر يوماً في البلاد العربيّة المجاورة و لم يتمكنوا من العودة. ينتخبون نوابهم العرب في الكنيست (جميع حواراتهم منقولة على شاشات التلفزة في الأسبوع الخامس للحرب وهم يعارضون بشدّة الغارا الجوية التي تقودها الحكومة الاسرائيليّة حكومة اولمرت ضد الأراضي اللبنانية).

انهم يستطيعون التعبير عن آرائهم بحرية مضمونة من الديموقراطية الاسرائيليّة، ولكن يستفيدون من كلّ التقديمات الاجتماعيّة للحكومة الحديثة والازدهار الاقتصادي الذي في الشرق الأوسط، فالعرب الإسرائيليّون الذين يودون إبدال جوازات سفرهم الاسرائيليّة بالفلسطينيّة عددهم ضئيل (الدولة المقترحة في قطاع غزة والضفة الغربيّة). رغم ذلك أفسحت

الجموع الغاضبة والساخطة في دير الاسعد بصمت الطريق لمرور سيارة اسعاف جديدة وصفارتها الحمراء المشتعلة عليها نجمة داود الكبيرة وتابعة للجمعية، لقد استدعيت لنجدة ا شابة تحتضر.

حقوق العرب الإسرائيليّين لا تختلف قانوناً عن الخمسة ملايين يهودي الذين يعيشون في اسرائيل: فقط انهم معفيون من الخدمة العسكرية. ونتيجة لهذا الوضع فإن من شأنه أن يبعدهم عن التكامل والانسجام في مجتمع حيث يشكل الجيش المؤسسة الأكثر احتراماً في البلاد وتشكّل الانصهار لجميع النخب الواعدةالسياسيّة والاقتصاديّة.

في هذا النهار يوم الجمعة الواقع في 11 آب - أغسطس 2006 قرية (دير الاسعد) أكثر غربة من أيّ وقت مضى، نفسياً ومعنوياً عن جارتها (الكرمل) حيث يسرع المجنّدون الشباب إلى الجبهة «لتسديد حسابهم» مع مطلقي الكاتيوشا.

الفصل الثامن عشر

القتال الأخير للجيش الاسرائيلي

هل سيحصل وقف إطلاق نار يوم الاثنين 14 آب - أغسطس عند الساعة السابعة. وقف إطلاق نار حقيقي بين حزب الله واسرائيل؟ هل سيحترم قرار مجلس الأمن للأمم المتحدة من الجانبين؟

يوما السبت والأحد اللذان قضيتهما في «المطلة» النقطة الأبعد في شمال الجليل لا يبشران بالخير. من الشروق حتى المغيب كانت المعارك تتواصل بوتيرة كثيفة ونادرة عند الأطراف الشماليّة لهذه البلدة الرائعة السياحيّة الحديثة والتي شُيِّدت عام 1897 من أجل خمسة وسبعين عائلة صهيونيّة هربوا من مذابح اليهود في اوروبا. من أعلى برج صغير بالقرب من فندق يدعى ألاسكا تتمتع بأغرب منظر جميل شامل بمدى 360 درجة ويشمل كلّ المنطقة.

اتشحت السماء باللون الأزرق الهادئ، * أوضح خيالات مباني القرى في جنوب لبنان. هذه البلدة تدعى مرجعيون وهي بأغلبيتها الساحقة مسيحيّة، جبالها مفتتة بعوامل الطبيعة، خلفها تقع قلعة شقيف أرنون القلعة الضخمة التي شيّدها الصليبيون منذ ثمانية عهود. على شمال المطلة تماماً، تقع على بعد ثلاثة كيلومترات على مرمى حجر على قمّة جرداء، البلدة المسلمة الشيعيّة الخيام محاطة حتى سنة 2000 بسجن شهير أقامه (جيش لبنان الجنوبي الذي يضمّ المجنّدين المسيحيين للمليشيا المدعومة من الجيش الاسرائيلي التساحال). أصبحت الخيام منطقة نفوذ لحزب الله. ترتفع غيوم هذا الدخان في سماء البلدة من جرّاء القصف المدفعي للجيش الاسرائيلي. هذا السد الناري بمقدوره شلّ حركة المقاتلين. صفير حاد متبع بانفجار قوي، ترتعد لها الجدران في الفندق، وتنبعث رائحة البارود وبقايا مساحات الصنوبر المحترقة. قذيفة قاتلة من عيار 82 ملم سقطت في حديقة مجاورة عندما حوّلت نظري صوب الجنوب والسهل الواسع الفسيح المزروعة شمال الجليل، بدا لي انه مهرجان قذائف الكاتيوشا التي تسقط على المستوطنة الاسرائيليّة كريات شمونة، المهجورة من أغلبيّة سكانها المدنيين. وفجأة أصوات تبادل إطلاق النار من الأسلحة الاوتوماتيكيّة وصداها يسمع من

بلدة كفركلا على بعد أقل من خمسماية متر من غرب المطلّه دليل على ان الكوماندوس البري للجيش الاسرائيلي لم ينجحوا بعد باستئصال الجيوب لخلايا حزب الله.

طوال نهار السبت شهدت المطلة تقاطر المدرّعات الآليّة الاسرائيليّة صعوداً إلى جنوب لبنان للانضمام إلى رفاقهم المقاتلين، كما شهدت المنطقة عمليات إنزال من الطوافات على طول نهر الليطاني. يبدو ان استراتيجية الجيش الاسرائيلي هي احتلال أكبر مساحة ممكنة قبل أن يسري وقف إطلاق النار.

أمل قادة ألوية المشاة والذين حاورتهم، ان تتابع القوا · البريّة التساحال تمشيط وتنظيف القرى اللبنانيّة من منزل إلى منزل لتأمين الشريط الأمني المحتمل على شمال الحدود الاسرائيليّة اللبنانيَة، لكن في الحقيقة لا أحد يعلم شيئاً. «انتشار الجيش اللبناني الفعّال والقبّعات الزرق أي القوّات الدوليّة المقرّرة سيأخذ بالواقع عدّة أسابيع». هذا ما قاله لي الضابط الاسرائيلي.

لقد أرسلت القوّات المنتدبة للأمم المتحدة في لبنان عام 1978 بهدف إحلال السلام على الحدود ولكنها غير مجهّزة بالعدد والعتاد الكافي كما كانت مجرّدة من التوكيل الذي يجيز لها استعمال القوّة وهذا ما يشكّل بالنسبة للقوات الدوليّة ولهيئة الأمم المتحدة التي تحتفل بعيد ميلادها

الثلاثين سبباً لإخفاقاتها الواضحة في التدخلات الذاتية

رمت الطائرات الاسرائيليّة في تموز ـ يوليو 2006، ملايين المناشير في المناطق اللبنانيّة وخاصّة جنوب الليطاني تنذر السكان وتأمرهم بجمع الأسلحة على أبواب بلداتهم مع رفع راية بيضاء واضحة وظاهرة من البعيد وقامت باستدعاء مسؤولي البلدات (مخاتير ورؤساء بلديات) كبادرة حسن نيّة. هذه البلاغات بثّت على تلفزيون (المنار) لحزب الله، لأن الاسرائيليين مجهّزين تكنولوجياً بأجهزة تسمح لهم بالتسلل على الموجات اللاسلكيّة للعدو.

من يتوهم ان مقاتلي حزب الله سيرمون سلاحهم بهذه الطريقة؟ كنت قد اتصلت بهاتفي النقال بصديق فرنسي لي في الجبهة المقابلة (أي لبنان) للحرب، وهو على صلة مع حزب الله في الضاحية الجنوبيّة لبيروت، أجابني نقلاً عنهم «تسليم سلاحنا؟» قالوا لنا بسخرية، «لا لن نسلّم سلاحنا إلاّ إلى المهدي وحده» (المهدي هو الإمام المنتظر والموازي للمخلّص في الديانة اليهوديّة، وفي المذهب الشيعي هو مؤهل للعودة للَمّ شمل العالم الإسلامي تحت لواء «الإمام علي» صهر النبي الذي قتل في النجف (العراق). لم أكف عن التساؤل وأنا أشاهد المعارك خلال حرب الشهر على حزب الله، وقبل يومين فقط من وقف إطلاق النار المقرّر من مجلس الأمن الدولي للأمم

المتحدة، لماذا قرّر التساحال إطلاق هذا الهجوم الواسع بتجنيد أكثر من خمسة وعشرين ألف شخص وإرسالهم نحو روافد نهر الليطاني؟

سرت إشاعة ان القادة العسكريين الإسرائيليين مارسوا على السياسيين ضغطاً لا مثيل له في تاريخ الحكم اليهودي ولم يعلّق الناطق باسم قيادة الأركان عند سؤاله عن هذا الأمر رغم انزعاجه. وحتى أفهم الوضع كان عليّ ان اسأل قدامى الجيش الذين أنهوا خدمتهم العسكريّة في الاحتياط: «أوّل سبب لهذا الهجوم العام في الدقيقة الأخيرة هو للداخل في اسرائيل». اعترف أهارون بيرنسون «أن الجيش الإسرائيلي بحاجة إلى إعادة الاعتبار لشأنه واستعادة الاحترام الذي اهتزّ بعد ان كان يكنّه له جميع المواطنين ، شهر من الحرب والقذائف تتساقط بكثافة وبوتيرة أكبر على أرضنا. الفشل واضح وفظيع، يجب إعادة تدريب وتأهيل الجنود، وتطويع كلّي للعقيدة في كيفيّة استعمال قوّتنا». الجيش بكلّ استطلاعات الرأي التي أجريت هو المؤسسة الأكثر احتراماً في إسرائيل بعكس الكنيست المحتقر بصراحة وجهراً من عدد كبير من المواطنين وبما أنه يستوجب 60% من ميزانيّة الدولة، لذلك يجب ان تكون النتائج على قدر الآمال المعلّقة عليها. بالنسبة لأهارون، السبب الثاني لهذا العدوان والذي لا يحمل اسمه بالنسبة للجيش الإسرائيلي:

«محاولة إيجاد سلطة رادعة بوجه العالم العربي وايران» وبرأي الطيار الجوي الحربي القديم: «ضرورة السيطرة على أكبر مساحة ممكنة من الأراضي التي سيطر عليها حزب الله، وتسليمها فقط إلى الجيش اللبناني وقوات اليونيفيل.

السبت مساءً يسود جو غريب في المطلة حيث الكهرباء تنقطع وتعود، نتيجة الأضرار المتكبّدة من جراء القصف الصاروخي لحزب الله. عند رصيف مقهى Tahana المحصن بالباطون المسلّح، وهو الوحيد أبوابه مفتوحة في البلدة تصطف جماعة غريبة: جنود احتياط إسرائيلي بالزي الملطّخ بالغبار والأوساخ. يتبادلون الحديث، بقلق بادٍ عن أنواع، الطوافات التي قصفت بالصواريخ، مراسلون إعلاميون لا يتوانون عن نقل مجريات الأحداث اليوميّة، مندوبون أيضاً محليون من الذكور في أمكنة رحلت فيها العائلات إلى جنوب البلاد.

في هذه البلدة خادمة شابة جميلة زاخرة بالنشاط تركها معلّميها هرباً من الحرب إلى تل ابيب. فجأة أطلقت الشابة صرخة فرح مدويّة ووضعت الطبق من يدها وركضت لتقبّل شخص يتقدّم في الظلمة معتمراً العتاد العسكري والخوذة المشبكة وحاملاً بندقيّة قنّاصة، والوجه مموه بالسواد كلياً.
عنصر من كومندوس النخبة والذي تهيّأ للعبور إلى الجهة الأخرى من الحدود، بادلته قبلة سريعة فهو سيعود من جديد إلى

الجبهة في ظلمة الليل»: «انه أيضاً من المستوطنة نفسها مثلي الجولان، لم أره منذ شهر اني أرتجف» اعترفت لي الخادمة، أنه في المطلة لا يتحمس المجنّدون لإمكانية انتهاء الانتهاكات والاعتداءات قريباً، والذين التقيتهم في الطرقات المحاطة بشجر السرو والشربين والصنوبر والرأي السائد لديهم ان الخطر يكمن في ان حزب الله مؤهّل للانتفاض من تحت الرماد بعد سنة أو سنتين». هذا ما فسره لي أحد الضباط الشباب، «هكذا سندفع من جديد مئة وسبعين قتيلاً من أجل لا شيء».

الفصل التاسع عشر

الصمت المحترم

استيقظ ساكنو المطلة مدنيين وعسكريين في يوم الاثنين 14 آب - أغسطس 2006 على وقع الصمت الشامل. وقد كانوا خلال شهر من الحرب، قد اعتادوا على صخب القذائف ولعلعة الأصوات عند سقوطها، هذه الجلبة والضوضاء المتواصلة لم تعد تمنعهم من النوم ولم يتوقع أحد أن يتمّ اقتراح وقف إطلاق النار هنا. وحتى الأمس كنا ما زلنا نسمع تبادل عنيف لإطلاق النار من الأسلحة الرشاشة، دليل على ان الكومندوس الاسرائيلي يتواجه مع مجموعة ضاربة من مقاتلي ميليشيا حزب الله الشيعيّة المتوغّلين في الأنفاق التي أستحدثوها.

لم يسمع طوال النهار أيّ طلقة رصاص أو صدى انفجار، المدرّعات الاسرائيليّة المعطّلة والمكدّسة جامدة لا تتحرّك على طول الطريق الرئيسيّة المؤدّية إلى بوابة فاطمة المعبر إلى لبنان، عند جسر قديم للمرور ويعود لعصر الانتداب

الفرنسي (في لبنان بلاد الأرز) والبريطاني (على فلسطين).

مجموعة من جنود الاحتياط، يتسكعون والبنادق على أكتافهم في شوارع هذه البلدة الصغيرة الخالية من الأولاد، والذين رحلوا إلى جنوب إسرائيل في بداية الحرب، ملامح البهجة مرتسمة على وجوه هؤلاء الرجال، والذين يعلمون انهم سيسرحون وسيلتقون عائلتهم. يتكلّمون بالروسية فيما بينهم. كلّهم من اليهود الروس الذين أتوا للإقامة في إسرائيل منذ عام 1990 وقد صرح مارات (المسمى على إسم الثائر الفرنسي تشرُفاً) والبالغ من العمر 29 عاماً وهو مهندس ميكانيكي يعمل في مؤسسة لصناعة المفاتيح في حيفا: «مشاعري متأرجحة» «من جهة أنا سعيد للعودة إلى زوجتي وأولادي ومن جهة أخرى أعلم اني سأعود إلى المنزل دون تحقيق طعم الانتصار. حزب الله الآن في وضع جيّد، ووقف إطلاق النار معرّض لعدم الديمومة الطويلة وبعد ستة أشهر،سنة أو سنتين علينا أن نبدأ من جديد». شاركه صديقه إيليا مهندس المعلوماتية في مركز تقني في تل ابيب: «لم ننل نصراً عسكرياً أكيد، ولكن هل حصلنا على نصر ديلوماسي؟ لا أرى ذلك واضحاً اليوم. فمحاربة الميليشيا المتغلغلة بين السكان المدنيين مهمّة صعبة. إذا ما استعملت كلّ فاعلية النار للجيش الاسرائيلي، تعرض السكان المدنيين لخطر الموت، والأكثر حزناً والأكثر ايلاماً انه لا نحن الشعب الاسرائيلي ولا الشعب اللبناني نتمناه مطلقاً».

في ظلّ شجرة سرو على مقعد مواجه لمقر حاكميّة المطلة يقف رجل بزي عسكري زيتي مع القبّعة العسكريّة على الرأس ويبدو شارداً. هذا الاحتياطي يدعى يائير(النور في العربية) مدير لمدرسة ابتدائية في حياته اليومية الزمن العادي في «اللد» (البلدة المركزيّة للبلد الذي يأوي مطار بن غوريون. «شعوري الأولي «الكبت» أجابني هذا اليهودي المدني والذي أتمّ خدمته العسكريّة منذ عشر سنوات في فرقة غولاني: «خلال كلّ مراحل شهر الحرب، تكبّلت يدي السلطة العسكريّة بالقيادات السياسيّة. لم يسمحوا لنا إنهاء المهمّة وهي سحق حزب الله لمرّة أخيرة باستعمال فعاليّة وقوّة الجيش الإسرائيلي. لا يمكنك في الشرق الأوسط أن تتردّد أو تراوغ عندما تتعرّض للهجوم وإلاّ فصورتك بنظرهم ستهتز وتوصل رسالة ضعف إلى جميع الأعداء. هذه القصّة للأسف لم تنته بعد».

حتى بياليك، البالغ الخمسة والستون عاماً نفسه، الودود صاحب فندق صغير عائلي، متحدّر من عائلة قديمة يهوديّة والتي أقامت في الجوار منذ القرن التاسع عشر لا يغضب قائلاً: «حزب الله سيخرق الهدنة عندما تحين له الفرصة. لقد اضطررنا للتسليم بوقف إطلاق النار لأن الوطن الاسرائيلي صغير جداً ولا يمكن ان نسمح ان يتكتّل العالم أجمع ضدنا، ولكن أنتم الاوروبيون لا تعون أبداً التهديد الإسلامي الايراني اليوم، فايران تتفرّغ لنا اليوم ولكن غداً سيكون دوركم».

الفصل العشرون

إسرائيل تتساءل إذا ما خسرت الحرب

بدأ الجنود الاحتياط في المطلة بتصديق حقيقة وقف إطلاق النار، مجرّد عدم سماع أي صوت للإنفجارات في القرى الشيعيّة التي تشاهد من هناك أطرافها يدلّ على أنّ شيئاً ما يحصل. الآباء الذين بقوا لرعاية حقولهم أو إدارة فنادقهم، بدوا واثقين من إنتهاء المعارك و لا يصدقون إعادة العدوان وقد شرح لي صاحب حانة «بد أند بريكفاست» داخل الفيلا : «مع مشاهدة هؤلاء «الملايين» من اللبنانيين على شاشة التلفزيون، يتراحمون في الطرقات للعودة إلى ديارهم، لا أرى ان حزب الله سيتحمّل مسؤوليّة تحدٍّ جديد».

من الطبيعي بعد الخضوع لصمت الأسلحة أن لا يكف مقاتلي المطلة عن التساؤل خلال محادثاتهم في ظلّ النخيل والسرو: «من ربح الحرب إذن؟».

حلل لي الاستاذ الجامعي موشيه غوتليب كولونيل الاحتياط وهو يرتدي الزي العسكري بعد أن التقيته عنى رصيف المقهى، الوضع الذي انتهت إليه المعارك والمفاوضات. أولاً استعادة الجنديين المخطوفين في 12 تموز - يوليو، ثانياً انتشار الجيش اللبناني على الحدود، ثالثاً تجريد ميليشيا حزب الله من السلاح، رابعاً وضع قرار حظر الأسلحة المرسلة إلى حزب الله من سوريا وايران موضع التنفيذ وبتحليل علمي كامل عدّد موشيه: «الاهداف الأوّل والثالث والرابع التي حددتها إسرائيل لم تتحقق، أما الهدف الثاني فهناك حظ كبير في الوصول إلى نوع من الاتفاق يقضي بدحر حزب الله نحو الشمال، وابعاد العدوان ضد حدودنا. علينا ان نعترف ان الوضع في لبنان في هذا الوقت مقبول». وعندما وصل إلى موقف حزب الله، رفض هذا الاختصاصي في الكيمياء الصناعيّة والمدرس في جامعة برشيفا القول إذا ما كان من أهداف حزب الله قتل أكبر عدد ممكن من الجنود اليهود وأن يصبح قائدهم بطل لتلك الكتلة الضخمة الشعيّة المضطهدة سياسياً في العالم العربي الاسلامي. فالضربة كانت موفقة وناجحة. بالمقابل قرّر الأستاذ الضابط: «حزب الله فقد قوّة الردع التي كانت تمنحها له الترسانة الضخمة من الصواريخ من كلّ الأنواع ومن صنع سوري وايراني: «حوالي 4000 قذيفة سقطت على الأراضي الاسرائيليّة

وقتلت ثلاثة وأربعين مدنياً وهذا مؤلم للعائلات المصابة، ولكنها ليست بالأمر الصعب في المعنى الصحيح والكامل. لأنه في كلّ سنة يقتل أكثر من ألف وخمسماية إسرائيلي بسبب حوادث السير، والتفجيرات كلّفت حوالي آلاف المدنيين في إسرائيل حتى الآن فاعتاد البلد التعايش مع الصواريخ. لن يستطيع نصرالله بعد الآن محاولة تهديد الكيان الإسرائيلي والدولة بهذه الوسيلة متحمّلين المصائب بصبر»، اعتبر موشيه

الانتصارات الباهرة تحمل دائماً الخير لأنها تقوّي دعائم الحكم. ماذا حمل لنا النصر اللامع سنة 1967، أراضي محتلّة، منذ ذلك الوقت، قامت حرب الغفران وحدها بنصرها المعتدل استتبعته بنصر برّاق سياسي وهو السلام مع مصر.

الفصل الحادي والعشرون

الدروس المستخلصة للحرب
الحكومة العسكرية

يوم الخميس 17 آ - أغسطس عدت إلى شواطىء تل ابيب التي ما زالت مقفرة. الآن وقد انتهت بحق الحرب ضدّ حزب الله (مؤقتاً) شرعت قيادة الجيش الاسرائيلي بمراجعة ودراسة معمّقة لهذا التصدع الظاهر في هذا الشهر من المعارك. العصابات الجارية على الأراضي اللبنانيّة، عامير بيريتز وزير الدفاع الاسرائيلي، أفاد بأنه يعمل على تحقيق داخلي عهد به إلى لجنة خاصة، مولّفة من جنرالات متقاعدين وصرح لي أن قسماً كبيراً من الاحتياطين الغاضبين تمنوا لو ان هذا العمل عهد به إلى لجنة برلمانية تعلن النتائج علناً.

استراتيجياً الاستعمال المفرط للطيران (أكثر من 700 طلعة معقبة بالقصف المدفعي) وصل إلى حدّه بالإضافة إلى

إلحاق الضرر بصورة إسرائيل عبر العالم، فالقصف الجوي لم يستطع ان يضعف قوّة حزب الله الحربيّة والذي في الليلة التي حدّد فيها وقف إطلاق النار، أظهر قدرته على زرع ورمي الكاتيوشا على شمال إسرائيل وقتل جنود التساحال التحاماً جسداً بجسد والتي جرت من مبنى إلى مبنى، في القرى نصف المهدمة في جنوب لبنان.

تكتيكياً على القوات البرية ان تضع جانباً عتادها الثقيل (المدرّعات الثقيلة لخوض حرب مع جيوش على مثال جيش فرسونيا) وتشكيل فرق من الكوماندوس القادرة على الذهاب واختطاف المقاتلين من حزب الله، هذا ما فسره أحد القادة من كتيبة للاحتياط الذي عاد مباشرة من الجبهة في جنوب لبنان بعد قضاء ثلاثة أسابيع في ساحة المعركة «هؤلاء المقاتلون محترفون، وأنا اعرفهم كما هم. طوال فترة المعركة نجحوا في المحافظة على وسائل الاتصالات اللاسلكية وحمايتها وإبقائها بعيدة عن الهدف التدميري، احد الأوامر التي صدرت في ضاحية بيروت الجنوبيّة عند الساعة التاسعة نفذت بدقّة تامة في الساعة الحادية عشر، كانت الكاتيوشا تسقط من خمس جهات مختلفة وتطلق بنفس الوقت. لقد أخطأ رئيس الأركان خطأً كبيراً بالتقليل من قوة وقدرة حزب الله، باعتقاده انهم سيرضخون تحت وطأة القنابل المقذوفة من الطائرات الحربيّة». لم يكتف الاستراتيجي

الاسرائيلي بإعادة النظر بعقيدة استعمال القوّة وبتقدير فعالية أسلحة حزب الله التي قتلت أكثر من مئة وخمسة عشر جندياً في شهر واحتاروا من الآثار الفعليّة لبعض الأقسام من الصواريخ لقسم منها وهي روسية أو صينية وقد صُنّعت حديثاً.

في 14 تموز يوليو استهدفت إحدى دبابات الميركافا الإسرائيليّة بصاروخ من نوع Metis-M، مصنوع في تولا (أحد ضواحي موسكو) في المؤسّسة الوطنيّة KBP، وهو من النوع الجيّد المحمول ضدّ المدرّعات شبه موجّه على مرمى كيلومترين قادر أن يخرق مدرعة سماكتها أكثر من أربعين سنتم. في نهاية عام 1990 وقّعت روسيا عقد بيع لصواريخ Metis مع سوريا، ولكن وبحسب قوانين تجارة السلاح، وباللغة المعتمدة في ميدان بيع الأسلحة بين الدول، الدولة الشارية عليها أن تلتزم بعدم إعادة تصديره لأي دولة أخرى أي بالمبدأ يجب أن لا نجد السلاح المستورد بأيدٍ غير البلد الشاري. والصاروخ الذي وقع في 15 تموز يوليو من عيار 520 ملم على مصنع لاصلاح القطارات في محطة حيفا من صنع سوري، وعند الموقع وجد المحققون العسكريون نظام إشعال روسي الصنع من نوع (MPB - y) ومعالم التسلسل الرقمي واضحة عليه. كذلك دوّن الإسرائيليّون ان مجموعة من الصواريخ من صنع صيني مجهزة بالقنابل الانشطارية مميتة بوجه خاص استعملت على البلاد.

لقد وصلوا إلى أيدي حزب الله بالتأكيد عن طريق ايران.
وبدراسة لصاروخ آخر من عيار 220 ملم سوري الصنع، وجد المحققون الإسرائيليّون نظام اشعال صيني (G4-JM) مصنع في مجمع دولة. رغم ذلك ومنذ عشرات السنين تعتبر العلاقات الصينية ـ الاسرائيليّة جيّدة ورائعة. في سنة 2004 تمنت المعامل الاسرائيليّة بيع الصين مواد من التكنولوجيا العسكريّة المتطوّرة (مثل رادارات للمراقبة الجوية) لكن البنتاغون وضع فيتو على الموضوع.

من الجهة الروسية أي الدولة الروسية برئاسة بوتين حسنت علاقتها مع إسرائيل حيث يعيش أكثر من مليون نسمة من قدامى مواطنيها. لكن لم أتفاجأ عندما علمت ان الديبلوماسيّة الاسرائيليّة مصمّمة جداً على توجيه رسائل احتجاج سرية إلى موسكو وبكين. لم يستغل رئيس الوزراء الأسبق بنيامين نتياهو ذلك، (اليوم هو رئيس المعارضة) ولم يفتّش عن استغلال ظاهرة مشاعر الكبت للشعب الاسرائيلي، في خطابه في الكنيست يوم الاثنين في 14 آب ـ أغسطس: لم يستغض كثيراً على الأخطاء المفهرسة والمبالغة وان كانت عديدة، ولكن بالمقابل نطق بلهجة حاسمة وجازمة عبارة أكثر قساوة:

«كلّ الاسرائيليين الذين التقيتهم في تل ابيب يتهكّمون

وهم يردد «إذا ما ألقى العرب سلاحهم يعم السلام. وأما إذا تخلى اليهود عن سلاحهم فالنتيجة اختفاء إسرائيل عن الخارطة ومن الوجود». فكيف إذا ما تمّ الأمران معاً؟

الفصل الثاني والعشرون

تسلسل الأحداث تاريخياً

«سنلاحظ أن التاريخ لديه أحياناً نزعة محزنة تتكرر»

كانون الأول ـ ديسمبر 1916: اتفاق سايكس بيكو: تقاسمت بموجبه فرنسا وبريطانيا مسبقاً الأراضي المحتلة من الأتراك معتبرين أنهم سيربحون الحرب ضد الإمبراطورية العثمانية. فكانت سوريا من حصّة فرنسا وبلاد ما بين النهرين، العراق والأردن من حصّة بريطانيا فأعلن اتفاق دولي للقدس وفلسطين.

تشرين الثاني ـ نوفمبر 1917: إعلان وعد بلفور: وهو عبارة عن رسالة وجهها وزير خارجية بريطانيا ارثر بلفور إلى اللورد روتشيلد (وهو أكثر المتحمسين للصهيونية في وسط المجموعة اليهودية في بريطانيا) وقد جاء فيها: ان حكومة

جلالته تنظر بعين الرضى إلى إقامة دولة في فلسطين تكون موطناً للشعب اليهودي».

1918 ـ 1920: بعد انكسار الجيش العثماني في الحرب العالمية الأولى خضعت فلسطين للإنتداب العسكري بعد احتلالها من البريطانيين (بضمانة من جمعيّة الأمم المتحدة).

الأول من أيلول ـ سبتمبر 1920: أعلن الجنرال غورو في بيروت قيام دولة لبنان الكبير ضمن الحدود المعلنة من البعثة اللبنانية المشاركة في مؤتمر فرساي ويشمل بالإضافة إلى محافظة جبل لبنان المستقل سابقاً عن السلطة العثمانيّة، محافظة الشمال حتى عكار، والجنوب حتى الناقورة، والبقاع حتى منطقة المصنع حيث التوازن الطائفي غير ثابت ومتقلّب. فالمسيحيون فيها يمثّلون 55% من الشعب، 20% من السنة، 17% من الشيعة (الانتشار الأساسي لهم في الجنوب والبقاع) والدروز 17%. هذا الاقتطاع من الداخل والذي تعتبره سوريا حقاً شرعياً لها وضمّه إلى لبنان لم تتقبّله الطبقات السياسيّة في دمشق حينها وحتى الآن.

أيلول ـ سبتمبر 1943: وبهذا كانت نهاية الانتداب وانتخاب مجلس نواب حر في لبنان، وفيه ارتضى المسلمون ان ينفصل لبنان عن سوريا نهائياً مقابل اعتراف المسيحيين بتثبيت عروبة لبنان ضمن العالم العربي أنه ما عرف بـ «الميثاق الوطني».

1947: أعلنت الأمم المتحدة عن تقسيم فلسطين إلى دولتين واحدة يهودية وأخرى عربية. وقد صادقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على هذا المشروع الذي جوبه برفض عربي. بعد ذلك أعلنت بريطانيا أنها ستسحب كل قواتها قبل شهر أيار ـ مايو من عام 1948 وتسلم ملف فلسطين إلى الأمم المتحدة.

1 أيار ـ مايو 1948: ديفيد بن غوريون يعلن قيام دولة إسرائيل دون تعيين حدودها ويعترف بها مباشرة الرئيس الأميركي ترومان، بعدها أعلنت كل من مصر وسوريا والأردن ولبنان، والعراق الحرب على إسرائيل وغادرت الغالبية العظمى من الفلسطينيين ـ أو طردت ـ من فلسطين مع تقدم القوات الإسرائيلية وقد لجأ الفلسطينيون إلى لبنان والأردن وقطاع غزة.

1949: وقّع الإسرائيليّون، بعد انتصارهم في الحرب، اتفاق هدنة، على كلّ خطوط النار التي طرأت على الحدود الإسرائيلية.

حزيران ـ يونيو 1967: أدت حرب الستة أيام إلى احتلال إسرائيل لقطاع غزة والضفة الغربية. بقي لبنان محايداً في النزاع القائم.

تشرين الأول ـ أكتوبر 1973: حرب الغفران تسبب لأول مرة صدمة نفطية.

نيسان ـ أبريل 1975: معارك دمويّة في بيروت بين مقاتلين فلسطينيين والكتائب المسيحيّة. انها بداية الحرب الأهلية اللبنانيّة التي ستدوم خمسة عشر عاماً.

تموز ـ يوليو 1967: دخول القوات السورية إلى لبنان لنجدة المسيحيين ومهاجمة المخيمات الفلسطينية. سوريا بقيت في لبنان تسعة وعشرون عاماً بعد أن بدّلت حلفاءها عدّة مرات.

15 آذار ـ مارس 1978: انتقاماً لهجوم فلسطيني فدائي داخل الأراضي الاسرائيليّة تجتاح إسرائيل جنوب لبنان وتحتلّ منطقة تبدأ من الحدود حتى نهر الليطاني فيلجأ مئتان وخمسون ألف لبناني إلى الداخل اللبناني ما وراء نهر الليطاني

19 آذار ـ مارس 1978: صوّت مجلس الأمن الدولي للأمم المتحدة على القرار 425 والذي يطالب إسرائيل بالانسحاب من جنوب لبنان وإرسال قوّات اليونيفيل (القوّات الدولية للأمم المتحدة) لمراقبة انسحاب الاسرائيليين وتوطيد السلام ومساعدة السلطات اللبنانية لبسط سلطتها على تلك المنطقة.

13 تموز ـ يوليو 1978: انسحبت إسرائيل من جنوب لبنان باستثناء شريط من عشرة كيلومترات عرضاً وعهدت «الجيش لبنان الجنوبي» بالمهمات العسكرية (الميليشيا العسكرية الحليفة لها وليس للقوات الدولية).

18 أيلول - سبتمبر 1978: اتفاق سلام إسرائيلي - مصري في كمب ديفيد.

6 تموز - يوليو 1982: اتخذت اسرائيل محاولة إغتيال السفير الإسرائيلي في لندن من مجوعة فلسطينية محركة من الحكم العراقي بقيادة صدام حسين ذريعةً لإجتياحها لبنان بحجة طرد الفلسطينيين بعملية أسموها سلامة الجليل. استقبل الشيعة في الجنوب الإسرائيليّون في البداية بالزهور ولكن سنوات الاحتلال طالت فانقلبوا فيها على اسرائيل.

14 أيلول - سبتمبر 1982: اغتيال الرئيس اللبناني المنتخب بشير الجميل بتحريض من سوريا.

15 أيلول - سبتمبر 1982: توغّلت القوات الاسرائيليّة إلى غرب بيروت.

16 ـ 18 أيلول - سبتمبر 1982: مذابح في مخيّمات صبرا وشاتيلا لمئات الفلسطينيين، على ايدي ميليشيا مسيحية بقيادة إيلي حبيقة بعد أن أفسحت لها المجال قوات الجيش الاسرائيلي.

24 أيلول - سبتمبر 1982: وصول أولى وحدات القوات المتعدّدة الجنسيات (فرنسيّة، إيطاليّة، أميركيّة إلى بيروت بعديد مؤلّف من 2000 عنصر ومهمتها التأكّد من انسحاب القوّات الاسرائيليّة من العاصمة اللبنانيّة المنفذ في 26 أيلول - سبتمبر.

نهاية عام 1982: تأسيس حركة من رجال دين إسلام شيعة باسم حزب الله» ضد إسرائيل (الدولة التي لا يعترفون بوجودها) وبرنامج هذه الحركة يتمحور لإقامة جمهوريّة إسلاميّة في لبنان. هذه الحركة مدرّبة وممولّة من 2000 عنصر من حرّاس الثورة الاسلاميّة أرسلتهم ايران إلى منطقة البقاع لمساندة مقاتلي حزب الله ضد ا ائيل. منذ انطلاقه حزب الله وهو مدعوم كلّياً من سوريا والذي ترى فيه الوسيلة لمجابهة إ ائيل بحرب سهلة بالواسطة وبدون تسجيل خسائر من قبلها.

17 أيار ـ مايو 1983: توقيع اتفاق سلام، سمي باتفاق 17 ايار بين الرئيس اللبناني أمين الجميل والسلطات الاسرائيليّة والذي يقضي بانسحاب القوات الاجنبية (اسرائيليّة، سوريّة وفلسطينيّة) من لبنان، وتوقّف جميع الأعمال العدوانية وإقامة منطقة أمنيّة في جنوب لبنان. لم يصادق يومها المجلس النيابي اللبناني على الاتفاق المرفوض من سوريا وحزب الله واليسار اللبناني نتيجةً لضغتهم.

30 آب ـ أغسطس 1983: الفشل الذي منيت به ا ائيل بعد اجتياح لبنان أدى إلى استقالة رئيس وزرائها مناحيم بيغين.

23 تشرين الأول ـ أكتوبر 1983: اعتداء بسيارتين مفخختين مجهّزتين من حزب الله للقوات المتعدّدة الجنسيات تطال ثكنتين عسكريتين واحدة فرنسيّة (56 قتيلاً) وأخرى أميركية (239 قتيلاً).

كانون الثاني ـ يناير 1984: بدأت القوات المتعدّدة الجنسيات (الفرنسيَة الأميركيّة والايطاليّة) بالانسحاب من بيروت لتشتعل من جديد الحرب الأهليّة اللبنانيّة.

6 حزيران ـ يونيو 1985: إنسحاب القوات الاسرائيليّة من لبنان مع الاحتفاظ بمنطقة أمنيّة في جنوب لبنان ابتداءً من الحدود الاسرائيليّة حتى نهر الليطاني.

16 حزيران ـ يونيو 1985: اختطاف حزب الله طائرة تابعة لـ TWA وتحويل مسارها إلى بيروت لإجبار إسرائيل على تحرير الأسرى اللبنانيين الشيعة المعتقلين في سجونها.

1985 ـ 1986: ضاعف حزب الله عمليات اختطاف المواطنين الفرنسيين في بيروت لإجبار باريس على إعادة الأموال التي استثمرها الشاه في المشاريع النووية في فرنسا إلى ايران الدولة الاسلامية (الثورة الاسلامية).

آب ـ أغسطس 1988: تأسّست في غزّة حركة مقاومة إسلاميّة فلسطينيّة (حماس) مرتبطة بحركة الاخوان المسلمين في مصر. عقيدتها الاصرار والتأكيد ان فلسطين أرض دينية للاسلام ولا يمكن المفاوضة عليها. عقيدتهم قريبة من حزب الله رغم ان هذه الحركة (حماس) سنية المذهب بينما حزب الله شيعي المذهب لكنهما ملتزمتان بدعم المجموعات الكبيرة

المنضوية تحت لوائهما ببرامج مساعدا اجتماعيّة كثيفة، وكلتيهما تهدفان إلى استعمال العمليات الانتحارية ضدّ ائيل.

24 تشرين 1989: ثلاثة وستون نائباً لبنانياً (منتخبين عام 1972) يوقعون في مدينة الطائف السعودية «وثيقة الوفاق وطني» والتي عدّلت فيها ووزّعت الصلاحيات والسلطات لمصلحة المسلمين، وشرّعت الوجود العسكري السوري (لمدّة سنتين على كامل الاراضي اللبنانية ولمدّة غير محددة وقابلة للتفاوض «في المستقبل» بالنسبة لمنطقة البقاع). شددت الوثيقة على ترابط المصالح اللبنانيّة السورية وإقامة علاقات مميّزة بينهما. دعمت فرنسا وأميركا اتفاق الطائف بعد سأمهما من الحرب الأهلية في لبنان فأقرتا «بالوصاية» السورية على لبنان.

16 شباط ـ فبراير 1992: الطوافات الاسرائيليّة تغير على سيارة السيد عباس الموسوي الأمين العام لحزب الله على طريق قرية تفاحتا وتغتاله. انتخب حسن نصرالله تلميذ الموسوي في جامعة دينية إسلاميّة في النجف (العراق) فأصبح القائد الجديد لحزب الله وكان يبلغ من العمر 32 عاماً.

ربيع 1992: كشّف حزب الله عملياته ضد الجيش الاسرائيلي في جنوب لبنان.

25 تموز - يوليو 1993: أطلقت القوات الجوية الاسرائيليّة حملة عنيفة لقصف حزب الله ومراكزه وقواعده في لبنان، فردّ الحزب بقصف الجليل بصواريخه. أعلن رئيس الوزراء الاسرائيلي اسحق رابين اسم «تصفية الحسابات» على العملية المنفذة في لبنان والتي أدّت إلى نزوح أكثر من ثلاثماية ألف شخص نحو شمال لبنان قبل أن يتم وقف إطلاق النار في 31 تموز - يوليو بعد الضغوط الدبلوماسيّة الأميركيّة.

13 ايلول 1993: توقيع اتفاق اوسلو بين رابين وعرفات في واشنطن شرّعت اللمعاهدة الاعتراف المتبادل بين إسرائيل وفلسطين.

11 نيسان - أبريل 1996: عملية عناقيد الغضب: قصف إسرائيلي جوي لقواعد حزب الله في ضاحية بيروت الجنوبيّة والبقاع والجنوب.

18 نيسان - أبريل 1996: تدخّلت الأمم المتحدة لفرض هدنة بعد أن سقط صاروخ إسرائيلي على قاعدة لليونيفيل في بلدة قانا الجنوبيّة وأوقع أكثر من مئة قتيل مدني لبناني التجأوا إليها خوفاً من القصف.

1 نيسان - أبريل 1998: وافق مجلس الأمن الاسرائيلي (الذي يضم الوزراء الاساسيين) بعد التصويت، بتطبيق القرار

425 الصادر عن مجلس الأمن الدولي للأمم المتحدة شرط أن يتحمّل لبنان مسؤولية الأمن على الحدود الشمالية لاسرائيل، لكن السلطات اللبنانية والسورية رفضتا الشرط.

آذار - مارس 2000: تبني مجلس الوزراء الاسرائيلي لمبدأ الانسحاب الأحادي من جنوب لبنان قبل الموعد في 7 تموز - يوليو 2000.

24 **أيار - مايو 2000**: انسحاب مفاجىء خلال الليل للجيش الاسرائيلي من جنوب لبنان وتشتيت ميليشيا جيش لبنان الجنوبي الحليفة وهرب عناصرها إلى اسرائيل.

25 **أيار - مايو 2000**: استلم حزب الله المسؤوليّة الأمنيّة في المناطق المحررة مع السهر على عدم التعرض واستفزاز القرى المسيحيّة. عين 25 أ ـ مايو عيد رسمي تحت اسم: «عيد المقاومة والتحرير».

أيار - مايو 2000: في بنت جبيل وأمام مئة ألف مؤيد لحزب ا ، حثّ نصر الله في خطابه المطوّل «خطاب النصر» الفلسطينيين على اتباع مثال حزب الله ورفض الانجرار لاتفاقات السلام مع إسرائيل على غرار الاتفاقيات الحاصلة مع دول عربية، والعودة لاستعمال السلاح.

28 **أيلول - سبتمبر 2000**: انطلاق الانتفاضة الثانية

الفلسطينيّة وقد حلّت البنادق والقنابل محل الحجارة في الانتفاضة الأولى.

أيلول - سبتمبر 2004: تبنّى مجلس الأمن الدولي للأمم المتحدة القرار 1559 بعد تنسيق أميركي فرنسي يقضي بفرض انسحاب القوات السورية من لبنان وتجريد حزب الله من سلاحه. رفضت دمشق القرار ومارست ضغطها على البرلمان اللبناني للتمديد ثلاث سنوات للرئيس المقرّب لها اميل لحود. اعترض رئيس الوزراء آنذاك رفيق الحريري إعلامياً لهذه الخطوة غير الدستوريّة وغير الديموقراطيّة. ثمّ قدّم استقالته.

14 شباط - فبراير 2005: اغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري بسيّارة مفخّخة في وسط بيروت واتهام المخابرات العسكرية السورية. صدمة وحزن هائل يعم الطوائف السنية والمسيحية والدرزية التي توحدت وتظاهرت لفرض الانسحاب على القوات السورية من لبنان.

5 آذار - مارس 2005: إعلان رئيس الجمهورية السوري بشار الأسد في خطاب في البرلمان السوري عن الانسحاب القريب للجيش السوري من لبنان، مع حث الأفرقاء اللبنانين الحلفاء له للتصدي لأي مشروع اتفاق سلام منفرد متوقّع بين لبنان واسرائيل.

8 آذار ـ مارس 2005: حزب الله الصامت منذ اغتيال الحريري حشد مؤيديه في مهرجان في وسط بيروت (أكثر من ثمانماية ألف مشارك). ومتوجهاً إلى الجموع شكر في البداية نصرالله سوريا التي طالما ساعدت لبنان وأعلن بحزم انه لن يسلّم سلاحه: «الدولة اللبنانيّة أقرّت في بيانها الوزاري حق المقاومة ضد اسرائيل».

حزيران ـ يونيو 2005: تحالف قوى المعارضة لسوريـ يقوده سعد الحريري ابن الرئيس الراحل الحريري يفوز بالانتخابات النيابيّة التشريعيّة بكتلة كبيرة بالبرلمان الجديد ويسمي السنيورة رئيساً للوزراء.

آب ـ أغسطس 2005: تنفيذ قرار بانسحاب إسرائيلي أحادي من قطاع غزة تماماً.

كانون الاول ـ ديسمبر 2005: اغتيال جبران تويني رئيس مجلس ادارة جريدة النهار ونائب في البرلمان اللبناني وهو معروف بمواقفه المعارضة للسوريين. انه الاعتداء الرابع من هذا النوع بعد انسحاب القوات السورية من لبنان.

شباط ـ فبراير 2006: تعرّض السفارة الدانماركية في بيروت للتكسير والحرق من قبل المتظاهرين المتشددين الاسلاميين. وشغب في المنطقة المجاورة بغية الاحتجاج ضد

الصور الكاريكاتوريّة للنبي محمد المنشورة في صحيفة في كوبنهاغن.

25 حزيران ـ يونيو 2006: تسلّل قوّة كوماندوس، الذراع العسكري التابع لحركة حماس إلى الأراضي الاسرائيليّة وقتل جنديين وخطف آخر.

12 تموز ـ يوليو 2006: فرقة كوماندوس من حزب الله توغّلت عند الفجر داخل الحدود بين لبنان واسرائيل وتمكّنت عند الساعة التاسعة من خطف جنديين. دخلت المدرّعات الاسرائيلية إلى الأراضي اللبنانيّة عبر الحدود المجاورة وبدون جدوى حاولت استرجاع الجنديين.دمرت إحدى المدرّعات بصاروخ من حزب الله وكانت حصيلة المجابهة في النهاية ثمانية قتلى من الجنود الاسرائيليين. برر بيان رسمي للمنظّمة الشيعيّة الاسلاميّة بأن عمليّة الخطف «الوعد الصادق» نفذت من أجل تحرير الاسرى من السجون الإسرائيليّة. نددت قمّة الدول الثمانية المنعقدة في سان بطرسبرغ بالعدوان الفردي لحزب الله ضد إسرائيل وأعلنت الحكومة الإسرائيليّة بأنها تتخلّى عن سياستها القديمة بتبادل الأسرى ومصممة على تدمير حزب الله دفعة واحدة.

13 تموز ـ يوليو 2006: بداية مكثّفة لقصف جوي إسرائيلي عنيف على الأراضي اللبنانيّة، مستهدفاً البنية التحتية بالإضافة

إلى مراكز قواعد ومناطق نفوذ حزب الله فردت المنظّمة الشيعية بإطلاق الصواريخ عشوائياً على بلدات الجليل.

26 **تموز ـ يوليو** 2006: لم يتوصّل المؤتمر الدولي في روما إلى فرض إطلاق نار لكنه تبنى الفكرة الغربيّة بالاستعانة بقوات دوليّة (يونيفيل) في جنوب لبنان.

30 **تموز ـ يوليو** 2006: مأساة ومجزرة قانا الثانية: ستة وعشرون امرأة وطفل لبناني قضوا مهشّمين تحت الأنقاض من جرّاء قصف إسرائيلي لمبنى سكني في قانا. استنكار وذهول عارم يعمّ العالم.

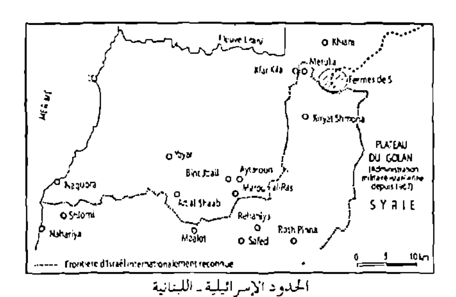
11 **آب ـ أغسطس** 2006: تصويت مجلس الأمن على القرار 1701 والذي يفرض وقف إطلاق النار، وبانتشار قريب للجيش اللبناني على الحدود الجنوبيّة مع مساندة اليونيفيل وفرض حظر على وصول الأسلحة لحزب الله.

14 **آب ـ أغسطس** 2006: دخل وقف إطلاق النار حيّز التنفيذ والذي احتُرم جيداً من الإسرائيليين كما من حزب الله.

7 **أيلول ـ سبتمبر** 2006: إسرائيل ترفع حصارها البحري والجوّي عن لبنان.

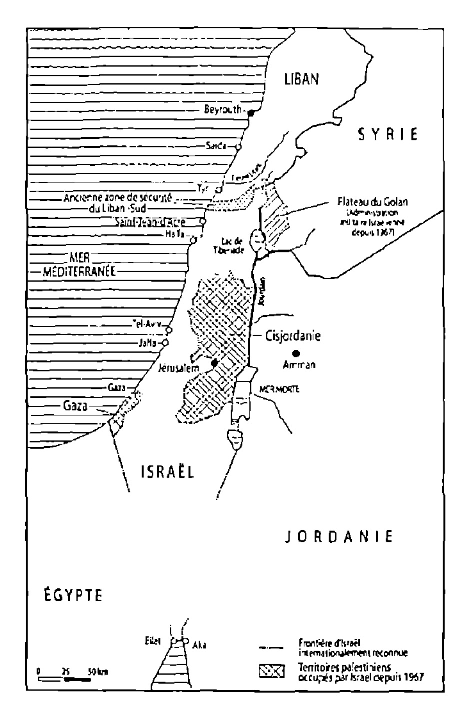
17 **أيلول ـ سبتمبر** 2006: تحت ضغط الرأي العام الشعبي، أمرت القيادة العسكريّة بتحقيق حكومي للإخفاقات العسكريّة

والدبلوماسيّة في الحرب على لبنان، دون وضعها تحت سلطة لمجلس المحكمة العليا (لتحاشي احتمال نتائج قضائية).



الحدود الإسرائيلية ـ اللبنانية

مسرح عمليات الجيش الإسرائيلي والرد الصاروخي لحزب الله



. الشرق الأوسط

الفهرست

حرب إسرائيل الضائعة ضد حزب الله

«ما من حرب مبررة أكثر من هذه الحرب»

”في 12 تموز 2006 تخطى حزب الله الحدود اللبنانية الإسرائيلية وتمكن من أسر جنديين إسرائيليين، لاقت هذه العملية إدانة واسعة من المجتمع الدولي.

تمتعت حينها الحكومة الإسرائيلية بتأييد واسع ونادر جداً من الرأي العام الإسرائيلي الذي حركه شعوره الوطني لأول مرة ودعم حكومته في شن الحرب على حزب الله.

الكل في إسرائيل وافق على عملية واسعة النطاق. لكن التردد والتفاخر والتباهي بالقوة الإسرائيلية والإرتجال بالقرارات من قبل السياسيين والجنرالات في إسرائيل، كل ذلك أدى إلى ضياع فرصة تاريخية للقضاء على حزب الله، والأسوأ من ذلك، فإن حزب الله خرج أقوى من قبل، بعد هذه الحرب وحانت الآن ساعة الحساب في إسرائيل.“

رينو جيرارد الصحافي الوحيد من بين وسائل الإعلام الأجنبية المكتوبة، الذي رافق قوات النخبة في الجيش الإسرائيلي واستطاع أن يغطي تماماً هذه الحرب غير المتناسقة.

تخرج من المدرسة العليا للإدارة، وعمل كمراسل عسكري منذ العام 1984، رينو جيرارد هو اليوم كبير مراسلي صحيفة «لوفيغارو» الفرنسية، غطى كل النزاعات الكبرى والحروب في مناطق آسيا وافريقيا والبلقان والقوقاز والشرق الأوسط. فاز بعدة جوائز عالمية عامي 1999و2001. يدرس مادة السياسات الإستراتيجية في كلية العلوم السياسية.



دار الخيال
بناية يعقوبيان - بلوك ب طابق3...
لبنان - تلفاكس: 009611-740110 E-Mail: alkhayal@inco.com.lb
...0 || 731 131 ||